الحكاية الشعبية

الدكتور
توفيق عزيز عبدالله
أستاذ مساعد
كلية الآداب/ قسم اللغة الفرنسية
جامعة الموصل



الحكاية الشعبية

الحكاية الشعبية

الدكتور
توفيق عزيز عبدالله
أستاذ مساعد
كلية الآداب- قسم اللغة الفرنسية
جامعة الموصل

الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
2012 م

عبدالله، توفيق عزيز
الحكاية الشعبية/ توفيق عزيز عبدالله.- عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2012.
( ) ص.
ر.أ. :
الواصفات: الأدب الشعبي// القصص العربية//

- أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية او أي جهة حكومية أخرى.

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي

دار زهران للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5331289 – 6 – 962+، ص.ب 1170 عمان 11941 الأردن
E-mail : Zahran.publishers@gmail.com
www.darzahran.net

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان دراسة الحكاية الشعبية في مجتمع ما هي الرجوع الى دراسة تراث المجتمع والرجوع الى الماضي السعيد او الحزين والحياة الشعبية التي حياها الشعب ايضاً . فالحكاية عنصر مهم من عناصر التعبير الادبي واسترجاع للواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي للامة ،كما تعد جزءاً مهماً من تراثه العريق والماضي الجميل.

فالحكاية هي من الشعب واسلوبه في التعبير عن حياته وافكاره كما تعد ذاكرته التي تحفظ وتنقل ما تحفظه من اخلاق وافكار وظواهر اجتماعية واسرية وتجارب وخبرات الانسان من جيل الى أجيال .

فدراستنا للحكاية الشعبية هي الوقوف على الموروث الشعبي والوقوف على تطور المفاهيم الاجتماعية والانسانية في هذا الجزء من العالم حيث تطورت المعتقدات الى الاساطير والحكايات وتلاحم الثقافات المختلفة فيما بينها كما تدلنا على جذور وقيم وأصول المجتمعات البشرية وتقدم خلاصه تجارب وخبرات الانسان.

ظلت الحكاية الشعبية منعطفاً مجهولاً حتى اتجه اليها الدارسون والباحثون الغربيون والعرب بالبحث العلمي الجاد والدراسة المستفيضة والسبب الرئيس لذلك ربما يعود الى ان هذا اللون من الادب جديد عليهم أو لقلة الدراسات في هذا المجال.

يقع كتابنا هذا في ثلاثة فصول ،يتناول الفصل الاول الحكاية ونظرية بروب .فقد قدم الكاتب الروسي فلادمير بروب للقارئ منهجاً لدراسة وتحليل القصة الخرافية بالبناء الافقي الامتدادي أكثر من تمثله بالبناء العمودي الترابطي . ويتناول الفصل الثاني البنيوية في الحكاية الشعبية متبعين نظرية بروب في تحليل الحكاية . فيما يتناول الفصل الثالث

مجموعة حكايات وقصص مترجمة من "Contes et Nouvelles" تتماشى مع ذوق الطفل العمري.

أتقدم بشكري الجزيل الى زميلي الدكتور علي كمال الدين الفهادي والدكتور باسم ادريس قاسم الاستاذين المساعدين في قسم اللغة العربية كلية الاداب جامعة الموصل لقيامهما بالتقويم اللغوي للكتاب.

المؤلف

د.توفيق عزيز عبدالله

الفصل الأول

الحكاية ونظرية بروب

الفصل الاول
الحكاية ونظرية بروب

الدراسات العربية والاجنبية للحكاية الشعبية قليلة جداً نسبة الى الانماط الادبية الاخرى كالشعر والرواية والقصة القصيرة فقد قدمت الدكتورة نبيلة ابراهيم في كتابها "الحكاية الخرافية" التفريق بين الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية، فالحكاية الخرافية عندها وريثة للاسطورة، في حين ان الحكاية الشعبية تمثل مرحلة لاحقة للحكاية الخرافية .

لقد ميزت د.نبيلة ابراهيم بين هذين النوعين، فهي ترى ان الحكاية الخرافية تتسم بالانعزال عن الزمان والمكان، في حين ان الحكاية الشعبية ترتكز على الواقع وان شخصيات الحكاية الخرافية نماذج ورموز وأشكال من دون أجساد في حين نجد شخصيات الحكاية الشعبية لاينقصها العمق الجسدي أو الروحي فهي تنمو من العمق الذي يمتد في نفس الانسان [1].

ويرى الدكتور عبد الحميد يونس أن مصطلح الحكاية الشعبية جديد، لا بالقياس الى الادب العربي وحده، ولكن بالقياس الى الاداب العالمية أيضاً، ذلك لان وصف السرد القصصي بالشعبية انما كان بين اطار قصصي أدبي وآخر يتسم بالحرية والمرونة ومسايرة العقول والامزجة والمواقف [2] .

---

(1) د.نبيلة ابراهيم سالم، مجلة التراث الشعبي، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العدد 5-8،1983، ص148.

(2) د.عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، كتاب الجيب مشروع النشر المشترك ، آفاق عربية الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص10.

وثمة جهود عراقية بذلت لدراسة الحكاية الشعبية، فقد قام الدكتور داؤد سلوم بجمع خمس عشرة حكاية في كتابه "قصص بغداد" عام **1963** جاء في مقدمة كتابه هذه نشأة الحكاية الشعبية والتراث الشعبي وأهمية دراسة هذا النمط الادبي (1).

ونشر السيد يوسف أمين قصير سنة **1970** كتابه "الحكاية والانسان" تناول فيه تاريخ الحكاية وتطورها وصلتها بالانسان .فالحكاية بالنسبة له سجل يتحدث عن أقدم الحوادث الطبيعية والتاريخية التي مرت على الانسان (2)، كما قدم كاظم سعد الدين جهوداً كبيرة في كتاب "الحكاية الشعبية العراقية" حيث تناول فيه تسمية الحكاية الشعبية وأصولها وأنواعها والهدف من هذا النمط الادبي ولاسيما في دراسة الموتيفات في الخطابة الشعبية العراقية (3).

ويرى الدكتور عمر الطالب في كتابه "أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية" أن الحكاية الشعبية أسلوب اجتماعي هدفه الاصلاح والتقويم والتوجيه والمرونة في مجال الحياة العامة .لذا نجد فيها النقد اللاذع والسخرية أو الاقناع بحقيقة الواقع الاليم، ويرى أيضاً أن الحكاية الشعبية تتطور مع الزمن وهي تتبعه في تنوع مصالحه وتعدد اغراضه بحيث تشمل جوانب البيئة المختلفة (4).

---

(1) انظر: د.داؤد سلوم، مجلة التراث الشعبي، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العدد 7، 1976، ص122.

(2) ينظر: يوسف أمين قصير، مجلة التراث الشعبي، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1-6،1979، ص129.

(3) ينظر: يوسف أمين قصير ، مجلة التراث الشعبي العدد 1-4، 1980، ص ص27-30.

(4) ينظر: د.عمر الطالب، أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ، بغداد، 1981، المقدمة.

مع هذا كله فان الدراسات المخصصة للحكاية الشعبية والخرافة، كما يطلق عليهما أحياناً في ادبنا العربي، قليلة لقلة الباحثين والدارسين لهذا النمط الادبي الذي يعده الادباء الاوربيون أمثال فردريش فون ديولاين نتاجاً أدبياً معبراً عن الروح الانسانية والذي يستمد منه الادباء ابداعهم، كما يعد مصدر الهام للقصاصين والشعراء ومتتبعي التراث في العالم من جهة. أوقد تكون القلة لعدم وجود نظرية محددة وواضحة (فيما أعلم) من جهة أخرى.

ولقد رأينا أن نقدم هذا الفصل مدخلاً لدراسة وتحليل الحكاية معتمدين على نظرية بروب في كتابه (مرفولوجية الخرافة) .

الحكاية: تعريفها ونشأتها

قبل البدء بالقاء الضوء على نشأة الحكاية لابد لنا ان نعرفها . يعرفها الكاتب هنري ليمايتر[1] **Henri le Maitre** في معجم بورداس للادب الفرنسي :

ان الحكاية بصورة عامة، قصة قصيرة معروفة وتكون أحياناً حقيقية وأحياناً أخرى خيالية وعجيبة[2] وكلمة حكاية يقابلها في اللغة الفرنسية ((La Conte . ويعد الدكتور ابراهيم الخطيب في مقدمة كتابه " مورفولوجية الخرافة" الحكاية خرافة ولهذا فهو يقول: ((أن الخرافة في ذاتها تنطوي على معنى العجيب والمستملح في القصص وأنها لذلك يمكن أن تحل اصطلاحاً محل الحكاية العجيبة برمتها[3]، ولقد اعتمد الدكتور الخطيب على ما جاء في لسان العرب لابن منظور وفي مادة الخرافة "الحديث المستملح من الكذب"، وقالوا :

(1) Henri Le Mastre: Dictionnaire Bordas de Litterature Francaise, Bordas, 1985,p.197.

(2) لسان العرب، مادة "خرافة" .

(3) مورفولوجية الخرافة : المترجم ابراهيم الخطيب.

"حديث خرافة"، ذكر ابن الكلبي في قولهم حديث خرافة :، أن خرافة من عذرة بن جهينة اختطفه الجن ثم رجع الى قومه فكان يحدث بأحاديث ما رأى تعجب منها الناس فكذبوه فجرى على السن.

وقد تطور معنى الاسطورة ليشمل الخرافة التي هي القصة الكاذبة التي لايقبلها العقل وليشمل ايضاً ذلك التشويه الخيالي لشخصية حقيقية ماثلة في أذهان الناس، ونستطيع ان نقول ان الحكاية الشعبية في الواقع تخرج بين الواقع الحقيقي والخيالي ويكون بطلها انساناً وترتبط عادة بالسحر والخيال، في حين تكون الفابلو قصة أسطورية خيالية واستحضاراً لحقيقة أخلاقية وتعليمية، اضافة الى ذلك فان ابطال (الفابلات) يكونون عادة من الحيوانات ذوي الخصائص البشرية [1]، وأخيراً نستطيع القول انه من الصعب جداً على القارئ غير المتخصص التمييز بين الخرافة و (الفابلو) و الاقصوصة.

La nouvelle, La fable et La conte.

لان الانماط الثلاثة تشترك أحياناً بالخصائص انفسها، تتشابه الحكايات الشعبية في الادبي العربي والاوربي من حيث المضمون وقد تختلف من حيث الشخصيات والعناصر الزمانية والمكانية، على الرغم مما يفصل بينها من (مسافات زمانية وحضارية وفكرية لكن الحكايات تخرج من مصدر متماثل واحد الا وهو العقل البشري)[2].

ان الموطن الاصلي للحكاية كما يقول فل ماريك بيوكيوت هو الصور الاولى المكتملة للحكايات الخرافية وسابقتها تقابلها فيما يعرف عن منطقة شرق البحر الابيض المتوسط فعالم الحكايات الخرافية هو عالم المزارعين، لما كانت شعوب بلاد الشمال وفقاً

---

(1) معجم المصطلحات الادبية، مجدي وهبة، مادة "الاسطورة" .

(2) نظرية القصة، لوكاكس، مترجم عن الالمانية 1963 من قبل كيرفوي، طبعة كويتية ص44.

Lukas G:La theorie du roman ,traduit de L allemad par clair voge, edmtion Gouthiers, Berlins ,1963.p.44.

لوجهة نظر علماء ما قبل التاريخ حطابين قبل أن يعيشوا حياة الزراعة لـذلك فليس في وسع الانسان أن يقبل بناء على ذلك أن تكون هـذه الشعوب الشمالية قد عاشت عالم الحكايات الخرافية وان اتفقنا جدلاً مع الرأي الذي جاء به فريد ريرفون ديرلاين في كتابه فان الحكايات انتقلت شفاهاً عبر العصور من جيل الى جيل، لهذا نرى التشابه الموجود في الحكايات في الادب العالمي فحكاية " المزمار السحري" مثلاً نراها في الحكايات الشعبية الالمانية والحكاية الشعبية العربية على حد سواء مع اختلاف بسيط في أسماء الشخصيات والاماكن وكذلك الاختلاف في الوضعية البدئية فالحكايات في كلا الادبين تتشابه من حيث المضمون كما نرى التشابه أيضاً في حكاية الحيوان والحكاية الخرافية(1).

ان الاختلاف بين الحكاية الشعبية والخرافية تكمن في أن القصاصين يحذفون أو يغيرون أو يكيفون احداثاً لتلائم الحياة الثقافية والاجتماعية والبيئة التي يعيشون فيها وهذا شيء طبيعي، آن تاريخ الحكاية يرجع الى الاف السنين او بمعنى آخر ان نشأتها قديمة قدم الإنسان ولقد تطورت وشهدت ازدهاراً عبر العصور في أوربا . ولاسيما في القرن الحادي عشر حيث ظهرت مجموعات من الحكايات الخرافية في فرنسا مثل حكايات "اسي لوي" لشارك بيرو وظهرت في ألمانيا حكاية " ذات الرداء الاحمر" و "الوردة الشائكة" وغيرها.

أما في الشرق فقد ظهرت حكايات لا يزال الأدب العالمي متأثراً بها ويتغنى بها الى يومنا هذا كحكايات " ألف ليلة وليلة " على سبيل المثال والتي تتضمن حكايات خرافية وبطولية واسطورية وبجانب هذه الحكايات المدونة هناك حكايات محلية شعبية تحكى شفاهاً، ونود ان نشير الى ان هنالك جهوداً مكثفة مبذولة في الشرق والغرب لجمع هذه الحكايات .

---

(1) ينظر: الحكاية الخرافية، تأليف فردريش فون ديرلاين، ترجمة نبيلة ابراهيم، بيروت، لبنان، 1973، ص56.

فلقد جمعت الاف من الحكايات الخرافية والشعبية في اوربا وجمع كل من (فسر) في (هولشتين) و(فوسيدلو في فيكلنورج) و (تيري) في صقلية وفي الشرق الدكتور عمر الطالب والدكتور داؤد سلوم في العراق وغيرهم في اقطار عربية اخرى وما يزال جمع الحكايات مستمراً في جميع انحاء المعمورة.

قبل البدء في عرض نظرية بروب في "الخرافة" وتطبيقها على الحكايات آنفة الذكر نود أن نعرض ولو بايجاز خصائص الحكاية التي نراها تتشابه في جميع القصص الشعبية وتتمثل الحكاية الشعبية بصورة عامة بالبساطة في الاسلوب لانها عادة تحكى للعامة، لذلك يجب ان يكون الاسلوب بسيطاً خالياً من الكلمات الصعبة والجمل المعقدة . أما بالنسبة للوضعية المبدئية فان معظم الحكايات تبدأ بافتتاحية تقليدية "كان في قديم الزمان" .أما الحكايات الشعبية العراقية فانها تبدأ عادة بـ ((كان يا مكان على الله والتكلان كل من عليه ذنب يقول التوبة واستغفر الله)). كما أن جميع الحكايات تنتهي بنهاية سعيدة كالزواج أو جمع الشمل أو بقصاص المعتدي[1] . وبعد عرضنا بايجاز خصائص الحكاية نود أن نقدم البناء الوظيفي للحكاية التي جاء بها بروب في كتاب" مورفولوجية الخرافة"، فالوظائف التي جاء بها بصورة عامة هي :-

1. النأي
2. وجود المنع
3. انتهاك المنع ودخول المعتدي
4. يحاول المعتدي الحصول على معلومات
5. يتلقى المعتدي أخباراً حول ضحيته
6. يحاول المعتدي خداع ضحيته للسيطرة عليها او على ممتلكاتها

(1) ينظر: أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، ص4-49.

7. تقع الضحية في حبائل الخدعة وبذلك تعين عدوها بالرغم منها

8. يلحق المعتدي ضرراً بأحد أفراد العائلة او يسيء اليه

9. انتشار خبر الاساءة او النقص

10. يقبل البطل الباحث السعي او يقرره

11. يغادر البطل منزله

12. يتعرض البطل لاختبار او استنطاق او هجوم يهيؤه لتلقي اداة او مساعدة.

13. يرد البطل على أفعال الواهب المقبل

14. توضع الاداة السحرية تحت تصرف البطل

15. ينقل البطل او يرشد او يعاد الى جوار المكان الذي يوجد فيه موضوع بحثه

16. يتبارز البطل والمعتدي عليه في المعركة

17. يتلقى البطل علامة على جسده

18. ينهزم المعتدي

19. اصلاح الاساءة البدنية وتعويض النقص

20. يعود البطل

21. يطارد البطل

22. يغاث البطل

23. يصل البطل متنكراً الى بيته او الى قطر اخر

24. يدعي بطل لنفسه دعاوى كاذبة

25. تقترح على البطل مهمة صعبة

26. انجاز المهمة

27. التعرف على البطل

28. يكشف قناع البطل المزيف او المعتدي او الشرير

29. يكتسي البطل مظهراً جديداً

30. يعاقب البطل المزيف او المعتدي

31. يتزوج البطل ويرتقي الى العرش

المصادر والمراجع

المصادر العربية :

1. أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، عمر الطالب، الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ، بغداد، 1981.
2. الادب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، بلا.
3. الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة ابراهيم، دار العلم، بيروت، 1971.
4. مورفولوجية الحكاية، ترجمة ابراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين،1986.
5. معجم المصطلحات الادبية، مجدي وهبة.
6. في علم التراث الشعبي، لطفي الخوري، الموسوعة الصغيرة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1979.

المصادر الاجنبية:

1. GOUATTENOIRE, j.(ed): contes et nouvelles ,Haehelte, pnris,1977.
2. LEMAITRE,Henri, Dictionnaire Bordas, de litterature Française ,Bordas, Paris,1985.
3. Lukas, Ga théorie du roman ,traduit de lallemand par jem claire voge, Gouthiers, aun Rhein, Bberlin Spanden, 1963.

4. RROPP Vladimir, Morphologic du conte ,traduction de Marquerite Berrida, Ytzvetar Todorov et Clande Kahn, senil ,Paris ,1970.

5. Victot E.Neuburg, Popular literature ,Penguin Books, 1977.

الفصل الثاني

البنيوية في الحكاية الشعبية

الفصل الثاني
البنيوية في الحكاية الشعبية

شهد القرن الحالي ثورة منهجية حقيقية تمثلت بظهور مدارس وحركات أدبية ونظريات فنية ومناهج أدبية عديدة، ومن هذه المناهج المنهج البنيوي الذي نتريث فيه عند تأثير الطريقة البنيوية للتفكير في الدراسة، وستكون " الحكاية الشعبية " أو "الخرافة" ميداناً تطبيقياً لهذا المنهج.

ولكي نفهم المنهج البنيوي، لابد من الاشارة الى أن العناية بالشكل من أولى الاهتمامات الجوهرية فيه وقد أدى ظهور هذا المنهج الى زعزعة مجموعة من التقاليد في دراسة الادب تمثلت في الدراسات التي تعتمد ثنائية (الشكل والمضمون).

والبنيوية في معجم المصطلحات الادبية تعني (منهجية في الفلسفة والعلوم مؤداه الاهتمام أولاً بالنظام العام لفكره أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض على حساب العناصر المكونة له .أما تلك العناصر فلا يعنى بها الا من حيث ارتباطها وتأثرها بعضها ببعض في نظام منطقي مركب .وقد امتدت الى علوم اللغة عامة وعلم الاسلوب خاصة حيث استخدمها العلماء أساساً للتمييز الثنائي الذي يعد أصلاً لدراسة النص دراسة لغوية .وهذا التمييز الثنائي يقع ما بين اللغة والكلام – في اصطلاح جيوم **Guillaume** أو بين نظام الكلام والنص نفسه –في اصطلاح هيلمسلف **L.Hjelmslev** او في اصطلاح نوام تشومسكي **Noam Chomsky** او بين مفتاح الكلام **code** والرسالة الفعلية **message** في اصطلاح رومان ياكوبسن **Roman Jakobson**[1]، ويرى بياجيه ان البنية في نسق الكتابات تشمل على :

(1) انظر معجم المصطلحات الادبية ، ص540.

1. فكرة كلية: ويقصد بذلك التماسك الداخلي .أي ان نظام الكيانات كامل بنفسه وليس مجرد تجميع، ويقول تينيانوف في هذا الصدد ((ان مفهوم المادة لايخرج عن حدود الشكل، فالمادة شكلية ايضاً وانه من الخطأ خلطها بعناصر خارجية عن البناء))[1].

2. وفكرة التحويل: أي ان البنية ليست جامدة وانما هي بنية ديناميكية دائمة التحرك والتغيير .وان القوانين التي تحكمها لاتقوم ببنائها فقط بل تجعلها بنائية ايضاً .وقد اوضح ايخنباوم ان ((ان الشكل الجديد لايظهر ليعبر عن مضمون جديد، ولكن ليحل محل الشكل القديم))[2].

3. فكرة الانتظام الداخلي: وتعني التأكيد على سلطة معينة الا وهي سلطة النظام الداخلي فحسب .وبهذا لايبقى الشكل طرفاً اولاً مقابل طرف ثاني، هو المضمون او المحتوى، وانما يصبح هذا الشكل هو المضمون الحقيقي للخطاب الشعري- واخيراً نستطيع القول أن نظرة الشكلانيين الروس للادب والتاريخ الادبي، تركزت على فكرة مفادها ان كل التطور والتجديد في الادب هو تجديد يتعلق بالشكل الادبي وحده وبغض النظر عما يحدث خارجه[3].

وقد دارت الكتابات المنهجية للشكلانيين الروس ضمن هذا الاطار العام على الرغم من اختلافتها وتطبيقاتها بين نمط ادبي واخر .وتجدر الاشارة هنا الى ان الهدف الرئيس عند البنيويين في دراسة ونقد النصوص الادبية وصف وتحليل العمليات الوظيفية للنظم الادبية . فضلاً عن ذلك فقد انصب جل اهتمام الشكلانيين في النثر على السرد والحوافز والوظائف الداخلية والحوار. وفي هذا المجال يقول بروب: ((نعني بالحوافز،

(1) ينظر مناهج الدراسات الادبية الحديثة، ص199.

(2) نفس المصدر السابق، ص 199.

(3) المصدر نفسه، ص199.

الدوافع والغايات التي تقود الشخصيات الى انجاز هذا العمل او ذاك، والحوافز تعطي للخرافة في بعض الاحيان زخرفاً لامعاً ومميزاً بصفة عامة، ومع ذلك فهي تنتمي الى عناصرها الاقل استقراراً، وهي مع ذلك عناصر اقل دقة من الوظائف او الصلات واقل تحديداً[1] . ففيما يخص الحكاية الشعبية والخرافة على سبيل المثال نجد ان الاعمال الادبية تشير اشارة مباشرة او غير مباشرة الى كتاب " مورفولوجية الخرافة" للكاتب الروسي فلاديمير بروب في تحليلة لمائة خرافة روسية .اذ يعد كتابه هذا منهجاً بنيوياً حيث وضع فيه قواعد للفن الحكائي .

فالحكاية الشعبية (الخرافة) في تحليل فلاديمير بروب تمثل البناء الافقي الامتدادي اكثر ما تمثل البناء العمودي الترابطي المتمثل في البناء الشعري [2]، فالمنهج الذي قدمه بروب يعتمد على وحدات اساسية (وظائف) [3]، والتي اهتدى اليها من خلال دراسته للحكايات الروسية، التي تتحكم في جميع الحكايات الروسية ويبلغ عددها احدى وثلاثون وظيفة[4].

ويتبين لنا ان الوظائف الاحدى والثلاثين تتوزع على سبعة أنماط في الشخصيات هي:

1. الوغد
2. الواهب
3. المساعد

(1) انظر موفولوجية الخرافة، ص79.

(2) فيظهر المناهج الادبية الحديثة ، ص206.

(3) م.ن، ص205 .

(4) انظر الفصل الاول ، ص

4. الاميرة (الشخصية مدار البحث)

5. المرسل

6. البطل

7. البطل المزيف

استنتج بروب في كتابه "مرفولوجية الخرافة" ان جميع الخصائص البنائية للحكايات الخرافية متجانسة .واستنتج ايضاً ان الوظائف التي تتضمنها الخرافة عددها محدود، وان العناصر الثابتة والمستمرة في الخرافة هي وظائف الشخصيات، بمعنى ان الوظائف او افعال الشخصيات هي نفسها في جميع الحكايات، فيما تتغير اسماء الشخصيات وصفاتها حسب الزمان والمكان .ومن هذا المنطلق سندرس الحكايات الشعبية انطلاقاً من وظائف الشخصيات لكونها الاجزاء المكونة الاساسية للحكاية .

وقبل الولوج الى هذا الموضوع الاساس لابد من تحديد مفهوم للحكاية التي يعرفها هنري لميتر **Henri le Maitre** بأنها : ((قصة حقيقية احياناً وخيالية او عجيبة أحياناً أخرى)) [1]، فيما يعرف ابراهيم الخطيب بأن الخرافة مثل ذاتها ((تنطوي على معنى العجيب والمستملح في القصص وانها لذلك يمكن ان تحل اصطلاحاً محل الحكاية العجيبة برمتها)) وفي لسان العرب لابن منظور ((الحديث المستملح من الكذب، وقالوا :حديث خرافة)). ذكر ابن الكلبي في قولهم حديث خرافة :ان خرافة من عذرة بن جهينة اختطفه الجن ثم رجع الى قومه فكان يحدث بأحاديث مادار، تعجب منها الناس فكذبوه فجرى على الالسن الناس)) [2]، ونستطيع القول بأن الحكاية الشعبية تخرج بين الواقع الحقيقي والخيالي ويكون بطلها انساناً وترتبط عادة بالسحر والخيال .وقد فرق مجدي وهبة بين الاسطورة

(1) انظر معجم بورداس الادبي ، ص179.

(2) انظر موفولوجية الخرافة ، ص12.

والفابلو بقوله عن الفـابلو: ((حكايـة تخلـع عـلى الكائنـات الطبيعيـة وبخاصـه الحيـوان خصائص بشرية)) [1]، كما فرق الشكليون الروس بين القصة والحبكـة، أي المـادة الروائيـة واسلوب عرضها البنيوي، كما في مقال ايخنباوم "حول نظرية النثر" ومقاله " كيف صيغ معطف غوغول" . وفرقوا بين بناء القصة القصيرة والرواية، كـما في مقـال شوفـسكي " بناء القصة القصيرة والرواية" [2].

واخيراً نستطيع القول ان القارئ غير المتخصص يجد صعوبة في التمييز بين الحكايـة والفابلو والقصة القصيرة والاسطورة ..لان هذه الانماط الادبية تشترك احياناً بالخصائص نفسها مع انها تخرج من مصدر، تماثل واحد الا وهو العقل البـشري وتـشترك في اعتمادهـا على عناصر السرد والحدث والشخصيات الرئيسة والثانوية والعقدة سواء أتـوافر العمـل الادبي على هذه العناصر كلها او بعضها.

بعد ان القينا الضوء على منهج بروب البنيوي الذي جاء به في كتابـه " مرفولوجيـة الخرافة" نقدم في كتابنا هذا تحليلاً وظيفياً لاربع حكايات شـعبية، احـداها (الجـرة) التـي قمنا بترجمتها عن الفرنسية[3]. للكاتب دادي . والثانية "جنجل وجناجل" والثالثة "ست الستوت" والرابعة "انازكية" .

---

(1) انظر الادب المقارن، ص68.

(2) انظر المناهج الادبية الحديثة، ص206.

(3) انظر حكايات واقصوصات.

التحليل الوظيفي لحكاية "الجرة"

الوصفية البدئية :

آه لقد كسرت جرتي

1.المنع:

يجب ان لا تطأ قدماك بيتي دون جلب الجرة لي

2.النأي:

وانطلق كوفي سعيداً برحيله فقد ترك هذا البيت الذي لم يحصل فيه على دقيقة واحدة من الراحة.

3.النقص:

استمر كوفي في رحلته فهو الذي حرم من عطف امه وحنانها ولم يحص منها بأي اثـر يذكر.

1.4.الاستعلام- التمساح:

ايها الصغير من دلك على الطريق المؤدي الي.

1.5.الحصول على او اعطاء المعلومات :

انا لست سوى طفل يتيم واذا وجب عليك ان تأكلني فاسمع اولاً قصتي.

1.6.البطل يتعرض الى اختبار:

اذا كنت تريد حك ظهري فقد استحممت لتوي فانك سوف لن ترى امك فحسب بل ستحصل على جرة مشابهة للتي كسرتها.

1.7.ردة الفعل عند البطل:

اخذ كوفي الاسفنجة ونزل الى النهر وصعد على ظهر التمساح الخشن....

2.4.الاستعلام(المخلوق العجيب):

من اين اتيت ايها الصغير المغامر؟ ومن اصطحبك الى هنا؟

2.6. البطل يتعرض الى اختبار اخر:

فقال المخلوق لكوفي مشط شعري.

2.7. ردة الفعل عند البطل:

وبدأ كوفي بتمشيطه واصغر خصلة شعر تسقط من هذا المخلوق كانت تهز الارض.

8.المواصلة:

واصل كوفي سيره وعندما وصل البابين...

3.4.الاستعلام(العجائز):

من اين اتيت ايها الصغير واين انت ذاهب ؟

2.5.المعلومات:

وكان هذا العالم عالم عجائز طاعنات في السن محدوبات...

3.6.البطل يتعرض الى اختبار جديد :

وخضع كوفي الى هذا اختبار الجديد بابتسامة ورضا فقص لكل العجائز القصص الجميلة...

9.انجاز المهمة:

وحلت النهاية السعيدة لهذه الاختبارات...

10.توضع الاداة السحرية تحت تصرف البطل:

اعطت اكبر العجائز سناً لكوفي بقطينتين مبينة له متى واين يجب عليه ان يرمي الاولى.

11.الوصول والمكافأة:

رمى كوفي اليقطينة الاولى وفجأة وجد نفسه في قريته لم يتعرف عليه اهل القرية لانه اصبح شيخاً كبيراً .اعاد كوفي الجرة لزوجة والده وبعدئذ كسر اليقطينة الاولى فاذا بقصور تخرج من الارض واحداً بعد الاخر...

تنتهي هنا قصة كوفي.

ويبدأ الفعل المعاكس في "حكاية الجرة " مع اخيه ويدعى فوريان.

1.النأي:

دفعت زوجة الاب ابنها الكبير من رقبته الى الطريق.

2. الاستعلام:

من ارسلك ايها الصغير

1.3.الاختبار:

اغسل لي ظهري؟

4.عدم انـجاز المهمة او الفشل في الاختبار:

انا اغسل لك ظهرك، ظهر تمساح، ظهرك مملوء بالاشواك.

2.3.اختبار جديد:

قص لي شعري.

5.عدم انـجاز المهمة مرة ثانية او فشل في الاختبار مرة اخرى:

اتعتقد اني اتيت لاقص شعرك؟ فأنت لم تغتسل سوى مرة واحدة؟

3.3.اختبار جديد(العجائز):

قص لنا شعرنا ونظف لنا اظافر ايدينا واقدامنا.

2.5.عدم انـجاز المهمة والفشل في الاختبار للمرة الثالثة:

تساعدنني؟ كنت على وشك ان اعرض عليكن اني استطيع مساعدتكن.

6.الحصول على الاداة السحرية:

ثم قالت له اكبر العجائز سناً بعد ان اعطته اربع يقطينات...

7.العقاب:

رمى بكل قواه اليقطينة على الارض وظهرت في الحال الاسود والنمور... ورمى اليقطينة الرابعة فانشقت الارض وابتلعتهم...وانتهت هذه الحكاية بدرس اخلاقي (ومنذ حادثة هذه المرأة لم يسئ احد معاملة يتيم في البلاد السوداء).

التحليل الوظيفي لحكاية ((جنجل وجناجل))

الوضعية البدئية:

كانت الغزالة تسكن هي وولداها التوأمان جنجل وجناجل في كوخ.

1. النأي:

خرجت الغزالة ذات صباح بعد ان ودعت ولديها جنجل وجناجل.

2. يحاول المعتدي خداع الضحية:

تأكدت (الدامية) من ذهاب الغزالة، طرقت باب البيت وقالت بصوت آجش جنجل وجناجل افتحوا لامكم الباب بقرونها الحشيش وبديوسها الحليب وبفمها المية.

3. الاستهواء:

وعادت الى البيت الغزالة وطرقت بصوت دقيق :جنجل وجناجل افتحوا لامكم الباب بقرونها الحشيش وبديوسها الحليب وبفمها المية.

4. تقع الضحية في حبال الخدعة:

ضحكت جناجل وقالت لجنجل :اخافتك (الدامية) ان صوت امنا تحسبه صوتها.
ادارت المفتاح في القفل دورة وطلبت من جنجل ان يدوره مرة ثانية.

5. **يلحق المعتدي ضرراً بأفراد العائلة:**

فاندفعت الدامية الى الداخل وبلعت جنجل ثم بلعت جناجل.

6. **خطر الاساءة ينتقل:**

كان الغراب يراقب ماحدث وهو واقف على غصن شجرة قرب بيت الغزالة فطار باحثاً عن الغزالة حتى وجدها ونقل لها خبر أكل الدامية لولديها.

7. **المعتدي والبطل يتبارزان:**

لقد بلعت ولدي جنجل وجناجل ولم ترحمي صغرهما ولوعتي فتعالي نتناطح...

8. **ينهزم المعتدي:**

فنطحت الغزالة الدامية بقوة في بطنها فوقعت الدامية على ظهرها.

9. **عودة البطل:**

حضنت الغزالة ولديها وتبادلوا القبل وهي تردد انا غزالة غزيلة وكروني من حديد.

التحليل الوظيفي لحكاية (ست الستوت)

الوضعية البدئية:

يحكى ان زوجة الاب ضاقت ذرعاً بولدي زوجها فطلبت الى زوجها الضعيف المستكين لها ان يضيعهما.

1. **النأي:**

وفي الصباح الباكر مع صياح الديكة اصطحب الاب ولديه وودع زوجته وسار بهما عبر الحقول.

2. **المعتدي يحاول خداع ضحيته:**

وكلما سألاه الى اين يذهب بهما اجابهما انه يذهب بهما الى مكان جميل.

3. الضحية تقع في حبال الخدعة:

وفي الصباح افاق الصبيان فدهشا من وحدتهما في ذلك المكان وذهبا يسعيان باحثين عن والدهما .

4. المعتدي يلحق ضرراً بأحد افراد العائلة:

تملكهما الخوف واجهش الصغير بالبكاء.

5. وجود المنع:

وبعد مسيرة طويلة وعناء عظيم جداً وجدا عين ماء وعندما حاولا الشرب من ماء العين قالت لهما العين :من يشرب مائي يتحول الى غزال .

6. انتهاك المنع:

اما اخوها الصغير فلم يرعو وكان العطش قد تملكه فشرب من الماء وسرعان ماتحول الى غزال.

7. الزواج:

وذات يوم رأها الامير سيد القصر فأعجب من مناجاتها للشجرة ومن اللؤلؤ الذي ملأ كفيها وبهره جمالها فقرر الزواج بها.

ويجدر الاشارة هنا بأن حكاية اخرى تبدأ مجمل الحكاية بأكملها.

الوضعية البديلة:

مرت الايام والامير يزداد حباً لزوجته الجديدة وغزالها الجميل والقصر تلفه السعادة.

1. النأي:

وذات يوم استوجب سفر الامير الى بلد اخر فأوصى من في القصر بزوجته خيراً وذهب.

2. **المعتدي يلحق ضرراً بأحد افراد العائلة:**

فما كان من امر زوجته الاولى الا ان تأمر الخدم برمي ضرتها في البئر.

3. **الخدعة يحاول المعتدي الخداع:**

انست الزوجة الماكرة عودة زوجها فظللت وجهها بالكركم ووضعت تحت فراشها خبز الرقاق لتوهم زوجها بأنها مريضة.

4. **خبر الاساءة ينتشر:**

علم غزيل بما يبيته زوج اخته وزوجته القديمة له.

5. **الاداة السحرية:**

فاذا ما قبض القصاب على غزيل ليذبحه انقلبت سكينه الى قطعه من الخشب واصبح كالعصفور يفر هارباً فينجو غزيل من الذبح.

6. **انكشاف قناع المعتدي:**

وقد كان الامير يعاني من ارق شديد ...وخرج الى الحديقة، فسمع صوت هدهدتها وادهشته وقوف غزيل قرب البئر...فأنصت الى الحديث...وصاح الخدم ...فأخرجوا زوجته الحبيبة ست الستوت وبين احضانها طفلها الجميل.

7. **يعاقب المعتدي:**

غسل الامير زوجته ومسحها من الكركم واخرج خبز الرقاق من تحت فراشها وامر بقتلها.

8. **الزواج (ويقصد بها عودة السعادة):**

والقت الامير وست الستوت سعادة غامرة وهما يحتضنان ولدهما الحبيب الامير الصغير.

التحليل الوظيفي لحكاية (انازكية)

الوظيفة البديلة:

تنادت اصوات المؤذنين تملأ بالاصوات العذبة مدينة الموصل...

1. **النأي:**

خرجت زكية حاملة رزمة الطعام.

2. **المواصلة:**

اسرعت زكية الخطى وهي تتذكر حديث امها عن قنطرة الجان.

3. **انجاز المهمة:**

وصلت دار اختها مكية، قرعت الباب، خرجت اليها اختها واخذت رزمة الطعام.

4. **العودة:**

أظن ان في الحكاية طلباً بالبقاء في دار الاخت ويحصل رفض من احدى الاختين.

1.النأي:

بعد ان يئست المسكينة سارت بخطىء بطيئة متخاذلة اول الامر...وهي تبتعد عن الدار...

1.2.الاستعلام(صوت قوي مفزع):

من واقف على قبة السليل؟

2.2.الاستعلام (صوت اشد ازعاجاً من الصوت الاول):

من واقف على قبة السليل

3.2.الاستعلام(صوت ثالث اشد ازعاجاً من الصوتين السابقين):

من واقف على قبة السليل

2.4.الاستعلام:

ويتكرر السؤال عشرين مرة.

3.المواصلة:

رأت قبة قريبة منها ...فأسرعت اليها

4.المعتدي يحصل على معلومات:

انا زكية اختي مكية سحتتني في ظلام الليل

5.البطل يعرض حياته للموت:

دفنها الوحش بين يديه وغرس مخلبه الطويل في عنقها وراح يمتص دمها بنهم حتى شرب دمها كله ثم بدأ يلتهمها بنهم.

بعد ان قدمنا تحليلاً وظيفياً (مورفولوجيا) لاربع حكايات ومن ضمنها فابلو، نرى ان الحكايات الشعبية بأسرها ومثلها الحكايات الخرافية والاساطير تمثل بقايا المعتقدات الشعبية وبقايا تأملات الشعوب الحسية وبقايا قواها وخبراتها .وحينها كان الانسان يحلم لانه لم يكن يعرف، وحينها كان يعتقد لانه لم يكن يرى كان يؤثر فيها حوله بروح ساذجة غير منقسمة على نفسها.

وقد اتبعنا في تحليلنا الوظيفي منهج بروب من دون مدارس ومناهج وفهرسات اقوى تخالف من مثل منهج غريماس (Greimas,A.J.) الذي يرى في (ان الحكاية لكي يكون لها معنى عليها ان تكون كلاً رامزاً وعليها بهذا ان تنتظم بنية دلالية اولية [1]، ومثل

(1) انظر البنيوية وعلم الاشارة، ص85؛ وكذلك le×10×esiecle في ادب القرن التاسع عشر، ص328، وسعى A-J.Greimas بوضع قواعد للسرد القصصي وذلك بتقديمه مخطوطة شمل على ثلاثة ازواج من الشخصيات المتضادة:1.برسل ""Destinateur مقابل متسلم ""Destinataire.

2.فاعل sujet مقابل مفعول به ""objet

3.المساعد ""adjuvant مقابل الخصم opposant.

فهرسة انتي ارن (Anti Aarn) احد مؤسسي ما يسمى بالمدرسة الفلندية، والـذي امكـن ترقيم الخرافات بفضله فقد ركز في منهجه على الابنية الحكائيـة [1]. ونحـو ذلـك المدرسـة الفرنسية وعالمها بيديه (Bedier) ونحو المدرسة الدنماركية وعالمها اكسل اولربك (Oexl Olrik) ومنهج ارتن تومسون .وقد حاول هؤلاء وسواهم ارساء طرق البحث وترتيـب انماط (Types) الحكايات الشعبية، ولكن جهودهم باءت بالفشل لاسـباب عـدة : انهـم اعطوا افكاراً زائفة ولم تكن دراساتهم معمقة ومنتظمة، كما ركز بعضهم على الحواجز اكثر من البنى وهذا مايراه منسيلو فسكي [2]، ومن خلال الدراسة التطبيقية تبـين لنـا ان مـنهج تحليل بروب يمكن ان يطبق على الحكايات الـشعبية كافـة لمختلـف الـشعوب . ويمكننـا القول ان الوظائف التي جاء بها بروب في كتابه "مرفولوجية الخرافة" لاتتوافر جميعهـا في حكاية واحدة وانما يتباين توافر هذه الوظائف بين حكاية اخرى، ففي حكاية (انـا زكيـة) مثلاً، نرى قلة عددها عن عدد الوظائف في حكاية (الجرة) .

كما تتصف الحكاية الشعبية العربية والاجنبية ببساطة اسلوبها وخلوهـا مـن الجمـل والكلمات المعقدة لانها تخاطب مستويات عقلية وثقافية متباينة.اذ تكون الوضعية البديئة في الحكايات الشعبية العربية، كان يا ماكان على الله الـتكلان...امـا الحكايـة الاجنبيـة فتبـدأ بصورة (كان في قديم الزمان). وعلى الاغلب تنتهي الحكاية الشعبية بنهاية سعيدة بانتصار البطل او زواجه او رقيه الى العرش، ونجد في حكايات نادرة نهاية حزينة او (نهاية سـلبية) حسب مصطلح فورتونـاتون Fortounaton [3] .كـما هـو الحـال في حكايـة (انـا زكيـة) ويمكننا ان نستدل مورفولوجيًا على ان الحكاية الشعبية العربية او الاجنبية تنطلق عادة من

(1) انظر موفولوجية الخرافة ، ص24.

(2) المصدر نفسه، ص27.

(3) لسان روس 1843-1914 متخصص في النحو المقارن للغات الهندو –اوربيـة والـذي يعـد مـوس المدرسة اللسانية الروسية.

الاساءة او الحاجة او النقص الذي يجب توافر كل حكاية عليه وتمر الوظائف الوسيطة الاخرى لكي تنتهي بالوظيفة الختامية التي تتمثل باصلاح الاساءة او المكافأة اوالرقي الى العرش او الزواج كما هو الشأن في حكايتي (الجرة) و (ست الستوت) لان الحكاية – بوصفها كلاً متكاملاً –كما ترى نبيلة ابراهيم ((هي الشيء الحي وانها ترتبط بالقاص دائماً، والقاص لا يروي شكلاً جامداً، وانما يحاول ان يروي حكاية كاملة ذات بداية ونهاية))[1].

لقد تبين لنا ان الحكاية الشعبية اما ان تتألف من مقطع واحد نحو حكاية (انا زكية) واما ان تتألف من مقطعين نحو حكاية (الجرة) التي ينتهي مقطعها الاول نهاية ايجابية، وينتهي مقطعها الثاني نهاية سلبية ففي الاول :تطرد زوجة الاب ابن زوجها "كوني" ويمر بمغامرات عديدة تكسبه تجارب عميقة يعود بعدها محملاً بالهدايا وفي المقطع الثاني :ترسل زوجة الاب ابنها على امل ان يعود بالهدايا ولكنه يعود اليها خائباً .وقد تتألف الحكاية من مقاطع عدة ولكنها في كل الاحوال لاتؤلف سوى حكاية واحدة .

وقد اتضح لنا ايضاً ان الحكاية عن الحيوان (الفابلو) كما في حكاية "ليلى والذئب" وحكاية "العنزة والجداء" او كما هو الحال في حكاية "جنجل وجناجل" التي بنيت على الطريقة نفسها التي بنيت عليها الحكايات الثلاث، اذ نجد ان حكاية "جنجل وجناجل" تبدأ (بنأي الام، والمنع، واستعمال المعتدي (الدامية) للاستهواء الخادع، وانتهاك المنع، واختطاف افراد العائلة (جنجل وجناجل)، واعلان خبر الاساءة، والبحث والقضاء على المعتدي، المتمثل باغتيال الدامية، عقاباً للمعتدي، واسترجاع الشخصيات المختطفة، ثم العودة في النهاية).

لقد سعى فلاديمير بروب الى وضع قواعد بنائية للحكاية ((sujet لكنه لم يضع نصب عينه المعنى الفرضي (thematique) لذلك ويعد تقديمنا تحليلاً وظيفياً للحكايات

(1) انظر الحكاية الخرافية، ص49.

الشعبية الاربع، نود ان نشير الى ان الحكايات الشعبية العربية والاجنبية موحدة جميعاً وانها تصدر عن ينبوع واحد.

لما كان الهدف من دراسة الحكاية الشعبية الوقوف على تطور المجتمعات الانسانية ومعرفة مفاهيمها وثقافاتها واستخلاص الاوضاع الاجتماعية والتاريخية والعادات والتقاليد والمعتقدات والعقائد الدينية وأخلاق الشعوب، فقد بينت الدراسة ان الحكايات الشعبية العراقية قلما نجد فيها حكايات عن الطلاق، قد يتزوج البطل اكثر من امرأة واحدة لكنه نادراً ما يطلق زوجته .ففي حكاية "ست الستوت" مثلاً يتزوج الامير من ست الستوت لكنه لايطلق زوجته القديمة .كما نلاحظ ان الحكاية تعالج ايضاً حق الزوجة القديمة ضد ضرتها (1). كما ذمت الحكاية الشعبية الاخلاق السيئة واكدت على القناعة .فالطمع كما في الحكايات يعود بصاحبه دائماً الى الموت كما هو الحال في حكاية"الجرة" حيث كانت نتيجة طمع زوجة الاب وابنها الموت.

لقد برهن ليفي ستروس (Levi Strouss) على أن التحليل البنيوي لاينطبق على الوظائف فقط كما فعل بروب وانما ينطبق على الشخصيات التي تجسد تلك الوظائف ايضاً. ومما يلفت النظر أن شخصية البطل في الحكاية الشعبية كما يقول كاظم سعد الدين ((تكون ثابتة غير متطورة وتحمل صفة واحدة فان كان "البطل" شجاعاً رافقته الشجاعة حتى النهاية على الرغم من انه في البداية يمر بتجارب تجعل الاخرين ينظرون اليه نظرة استخفاف حتى اذا بلغ النهاية تغيرت نظرتهم اليه(2)، وهذا مانراه جلياً في حكاية "الجرة" اذ نرى الناس تغيرت نظرتهم الى (كوفي) حال عودته الى القرية. وتتضمن الحكاية الشعبية كذلك سلسلة من الانماط القياسية، بدرجات متفاوتة لخصوم واعوان البطل .وان خصوم

---

(1) انظر: اثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، ص72؛ الحكاية الخرافية ص49.

(2) انظر الحكاية الشعبية العراقية ، ص10.

البطل هم الكائنات الشيطانية (في الحكاية الروسية –التنين وكوتشي، والبابا–وياعا ...الخ كقاعدة، محصورة في الغابة).

اما اعوان البطل فهم على الاغلب كائنات عجيبة –وحوش تعترف بالجميل، وسحرة طيبون، وكذلك مواد عجيبة قد يشكل الحصول عليها بذاته مهمة شاقة يأخذ البطل على عاتقه تحقيقها[1]. كما هو الحال في حكاية " الجرة " اذ تقف الى جانب البطل قوى خيرة تساعده على اجتياز المهمة بنجاح وختاماً نود الاشارة الى نقاط العبور بين الواقع والخرافة التي اشار اليها ابراهيم الخطيب (فالواقع ينعكس انعكاساً غير مباشر في الخرافات ...وتشكل المعتقدات التي تمت في مستوى معين من التطور الثقافي احدى نقاط العبور هذه)[2].

(1) انظر موسوعة نظرية الأدب، ص123.

(2) انظر مورفولوجية الخرافة، ص108.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

1. اثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، عمر الطالب، الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ، بغداد، **1981**.
2. الادب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، بلا.
3. البنيوية وعلم الاشارة، ترنس هوكز، ترجمة مجيد الماشطة، سلسلة المائة كتاب، بغداد، **1986**.
4. حكايات وفلسفة، يوسف امين قصير، مطبعة شفيق، بغداد، **1976**.
5. الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة ابراهيم، دار القلم بيروت، **1973**.
6. الحكاية الشعبية العراقية، كاظم سعد الدين، مجلة التراث الشعبي، دار الحرية بغداد، **1971**.
7. الحكاية الشعبية، لطفي الخوري، مجلة التراث الشعبي،...
8. الحكاية الموصلية دراسة وعرض مع نماذج نصية...، عبد الحليم الاون،
9. الحكاية والانسان، يوسف امين قصير، سلسلة الكتب الحديثة**33**، وزارة الاعلام، مطبعة الجمهورية، بغداد، **1970**.
10. الدولة والاسطورة، ارنست كاسيرر، ترجمة د.احمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **1975**.
11. في علم التراث الشعبي، لطفي الخوري الموسوعة الصغيرة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، **1979**.

12. القصص الشعبي العراقي في ضـوء المـنهج المورفولـوجي، داؤد سـلمان الـشويلي، الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ بغداد، 1986.
13. معجم المصطلحات الادبية، مجدي هبة.
14. موسوعة نظرية الادب-اضاءة تاريخية على قضايا الشكل، يا.أي .ايـسبورغ/ ك د .حاجي و ف.ف كوزينوفا / أي.م.ميليتسكي، ترجمة د.جميل نـصيف التكريتـي، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986.
15. مناهج الدراسات الادبية الحديثة، عمر الطالب، دار البسر، المغرب، 1988.
16. مورفولوجية الحكاية، فلاديمير بروب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ترجمة ابراهيم الخطيب، المغرب، 1986.

المصادر الاجنبية :

1. Gouattenoire,j.(ed): Contes et nouvelles, Hachelt , Paris, 1977.
2. Lemaitre, Henri, Dictionnaire Bordas ,de Litterature Française, Bordas, Paris, 1985.
3. Lukas,G.,La théorie du roman, traduitde lállemand parjem claire voge, Gouthiers, aun Rhein, Berlin.
4. RROPP Vladimir, Morphologic du conte ,traduction de Marquerite Berrida,yt3 vetar Todorov et Clande Kan ,Senil, Paris, 1970.
5. Vidtot E.Neuburg, Popular literature, Penguin Books,1977.
6. Piaget. Jeam" :le structuralisme" .P.U.E. Collection: Que sais-je. 8éme, éditions 1983 Paris.

7. Jakobson Roman" Huits, Question, dePoetique", points. Seuil, 1977,Paris.
8. Barthes. Roland ":Seuil, Collection: Points Paris ,1964.
9. MIA I.Gerhardt, the art of story telling a literary study of the thousand and one nights, Leiden ,E.J.Brill, 1963.
10. Xavier Darcos Brigitte Agard et Marie- France Boireaw Le xixe siécle en littérature, Hachette,1986.

الفصل الثالث

حكايات وأقاصيص

الفصل الثالث
حكايات وأقاصيص

ان قلة ترجمة الحكايات والاقاصيص الشعبية من الادب العالمي في مكتبتنا العربية، دفعتنا الى اختيار وترجمة عدد منها، لكي تتيح للقارئ العربي مقارنة اقاصيصنا وحكاياتنا الشعبية بالاقاصيص والحكايات الشعبية في الادب الاجنبي. وليعرف النمط والاسلوب التي يكتب بها. الحكاية كما يقول الكاتب بيد بول، نمط أدبي لايمكن تعريفه تعريفاً دقيقاً وواضحاً، فهو نمط يختلف عن باقي الانماط الادبية المتعارف عليها بوصفه النمط الادبي الاكثر فنياً كما يقول الناقد الادبي جورج لوكاتش في كتابه "نظرية الرواية". فالحكاية عمل أدبي متكامل خال من الحشو اللغوي وتكتب غالباً بلغة الحياة المبسطة البعيدة عن التعقيد وتسودها عادة المفاجآت كما أنها تطلق عنان الخيال للقارئ.

ان الحكايات والاقاصيص التي ترجمناها كتبت خصيصاً للاطفال الذين تتراوح أعمارهم مابين **10-13** سنة وقد اتبعنا في ترجمتنا لهذه الحكايات والاقاصيص الاسلوب البسيط ليتسنى للطفل العربي استيعابها والتمتع بها، وجميع الحكايات مترجمة من كتاب :

Contes Et Mouvelles ,Choisis Par J. Gouttenoire, Hachette,1977.

الجرة

للكاتب برنارد دادي Bernard DADI [1]

آه لقد كسرت جرتي هذا ما كنت انتظره ولكنك لم تتأخر في فعل ذلك، حسناً انت تعرف ما عليك فعله.... أحتاج الى جرة مشابهة للجرة التي كسرت تواً. اذهب حيث تشاء وابحث لي عن جرة ويجب ان لاتطأ قدماك بيتي دون جلب جرة لي. كان كوفي ينظر الى زوجة أبيه وحطام الجرة المكسورة بين قدميه.

رغبتي كبيرة بأن انهال عليك ضرباً ان لم تكف النظر الي بهذا الشكل؟ ماذا تنتظر؟ انطلق حيثما تريد... لكنني اريد جرتي... اتسمع وتفهم هذا ؟

وانطلق كوفي سعيداً برحيله فقد ترك هذا البيت الذي لم يحصل فيه على دقيقة واحدة من الراحة او دقيقة واحدة من السعادة لاسيما بعد وفاة امه. كلما كان يبتعد عن البيت الذي كان له مجرد اهانات وعقاب يحس بالسعادة وحلاوة الحياة واخذ يلتقي بأناس يجاورهم، وحيوانات يداعبها، فلم يعد هنالك أي تهديد او اهانة بل على العكس يشعر بمحبة الناس له وحنان وفهم الحياة. وحينما كان يقص عليهم مغامرته كان يجد في نظراتهم واصواتهم شيئاً من الشفقة والعطف وكان الجميع يقول له كيف استطعت العيش في ذلك البيت في جحيم كهذا مع شيطان متسلط طوال الوقت؟ غير ان كوفي كان يحس شيئاً غريباً يتعاظم في نفسه فكلما ابتعد عن البيت بدت له الحياة اكثر بهاء. اه كم كان افقه ضيقاً ومحدوداً، اما الان فأمامه الفضاء والناس وينظر الى العالم بعينين جافتين وصافيتين وليس من خلال الدموع التي كانت تشوه كل شيء ولايجد الا البرد والحرمان والتعاسة والخوف المستمر. وكلما كان يمضي في سفره ويبتعد اكثر كانت ثقته بالناس تتعاظم، كان يستنشق

---

(1) ولد عام 1916، درس في المدينة التي ولد فيها (ساحل العاج) . وعمل كمدرس قبل انشاء المركز المسرحي، المهم اهتم دادي بالمسرح وكان يهتم كثيراً بفلكلور بلده.

الهواء العليل بحرية وكان ينشد بصوت شجي يرقص اوراق أغصانها. وكانت الاشـجار تبدو سكرى من عذوبة اللحن وتتشابك وسط الريح اوراقها المزخرفة بالفراشات الزاهية الالوان التي تغازل النحل اثناء استرخائها.

استمر كوفي في رحلته فهو الذي حرم من عطف امه وحنانها ولم يحظ منها بأي اثر او ذكرى اغلقت عينيها مودعة الحياة عندما فتح كوفي عينيه وقيل له ها هو الكون الرحب، لم يكن في هذا الكون الواسع ما يكفي من ضوء لاضاءة عيني كوفي لكي يتحتم عـلى الام ان تنقل نور عينيها وتضعها في عيون ابنها ليعيش، لقد انطفأ نور الام وتلاشى عنـدما عـانق ابنها الحياة.

وذات مساء وصل كوفي الى ضفة نهر عريض جداً حيث كانت ضفته الاخـرى قـد امتزجت مع الافق وكان يعيش في هذا النهر تمساح ضخم جداً بضخامة الجبل وكان النهر الذي تحلق فوقه طيور النورس يبدو كبساط ذي لون سطرته يـد خفيـة. كانـت الامـواج تتلاشى وتتكسر الواحدة تلو الاخرى على ضفته وتبدو كانها بساط متدل وكانـت ديـوك المعبد في الادغال تعلن ساعة الراحة وحلول الظلام معاً.

كان التمساح ينظر الى كوفي بعينين يتطاير منهما اللهيب ومن حوله صغار الـضفادع يطارد بعضها بعضاً. وكان القصب المتنـامي مـع موجـات النهـر الهادئـة يحـدث اصـواتاً لايعرف احد معناها والاعشاب المتعلقة برؤوس القصب تعوم على غـير هـدى كمـسافر حل في المساء في قرية يبحث عن ملجأ.

وطائر القاوند المتربص يرفرف بجناحيه وكانـت اسراب الـسمك ومجـاميع المحـار ذات الاجسام الشائكة تسبح وتتمايل كأنها محملة بهموم الدنيا وكان هناك في احد الاوراق ما هو ينساب مع تيار الماء. وكان المحار الذي يقع على الرمل يترك اثاراً واخاديـد قـال لـه التمساح فاتحاً فكيه المملوئين بالاسنان المعوجة الحادة جداً كأسنان سود لكثرة بائعي الجبن ومثلمة نتيجة اكل الكثير من الاشياء الجيدة.

أيها الصغير من دلك على الطريق المؤدي الي؟ فمنذ ان وجد العالم لم تطأ قدما شخص هذه النواحي، ماذا تحب؟ اتريد ان تؤكل ؟ فأجابه: انا لست سوى طفل يتيم واذا وجب عليك ان تأكلني فاسمع اولاً قصتي. وقص كوفي حكايته على التمساح منذ وفاة امه حتى اليوم الذي كسر فيه الجرة فأجابه التمساح ذارفاً دموعاً حقيقية، اذا كنت تريد حك ظهري فقد استحممت لتوي، فانك لن ترى املك فحسب بل ستحصل على جرة مشابهة للتي كسرتها، اخذ كوفي الاسفنجة ونزل الى النهر وصعد على ظهر التمساح الخشن المصدع ذي الاطراف الحادة كأنها سكاكين ذوات رؤوس دقيقة كالابر والقشرة المشتقة التي لايرغو بها الصابون واستمر يحك ظهر التمساح حتى سال الدم من اصابعه المجروحة ويديه صار لون ماء النهر احمر من سيلان الدم لكنه لم يبك مطلقاً وبعد ان انتهى من حك ظهر التمساح قال له التمساح : اصعد على ظهري. فصعد الصبي على ظهر التمساح وانطلقا ذات صباح وجدا انفسهما امام باب صغير جداً فأمره التمساح قائلاً : ((المسه فقط)) وعندما لامست اصابع كوفي الباب اذا بعجة هائلة تدوي كأنها الف رعد والف جبل ينهار سوية وفجأة رأى امامه مخلوقا عجيباً تفوح منه رائحة نتنة تحمل عفونة العالم بأسره ويصل رأسه الى السماء وقدماه في الارض هذا المخلوق يهز الارض اثناء سيره فسأله من اين اتيت ايها الصغير المغامر؟ ومن اصطحبك الى هنا ؟ وماذا تريد؟ وكان التمساح قد اختفى بمجرد ظهور الوحش. فبقي كوفي وحيداً وكان قلبه يريد الخروج من صدره من شدة الخوف لكن كوفي بقي ملتجما من شدة الخوف، ماذا تريد ؟ وقص له كوفي مستعيداً رباطة جاشه كل حكايته منذ وفاة والدته حتى اللحظة التي رأى فيها التمساح. فقال المخلوق لكوفي مشط لي شعري، وبدأ كوفي بتمشيط شعره واصغر خصلة شعر كانت تسقط من هذا المخلوق كانت تهتز الارض وحتى الاشجار كانت تستند الى بعضها ثم تنطرح ارضاً تجرها اغصانها وكذلك الجبال ترتجف من هذا السقوط واي رائحة نتنة وخانقة تفوح من شعر هذا المخلوق لكنه لم يعرف كم استغرق هذا الوقت وحالما انتهى من ذلك دمدم المخلوق الغريب قائلاً لكوفي استند وانظر الي وكان يرتجف خوفاً حيث

كان امامه عفريت مخيف اكثر من التمساح والمخلوق الغريب اراد كوفي ان يعـود ادراجـه وان يبتعد عن هذه المنطقة اراد ان يركض، نعم اراد الهروب من الاشباح والعودة الى العالم البشري فكان يركض ويركض ولكن كانت هنالك ظاهرة غريبة فهو لم يتحـرك قـط مـن مكانه، فكان يريد ان يصرخ ويصرخ بكل قواه لكن لم يخرج أي صوت مـن فمـه المفتـوح فقال له العفريت بصوت راعد اقوى من صـوتي التمـساح والمخلـوق الغريـب مـن ايـن اتيت؟ومن الذي اصطحبك الى هذا البلد الذي لم تطأ. قدم اي انسان؟ وعم تبحـث لكـي تأتي الي؟ ومن جديد حكى كوفي قصته منذ وفاة امه حتى لقائه بالوحش الذي كـان رأسـه في السماء وقدماه في الارض. اصطحب العفريت كوفي الى مكان مظلم، كان الظلام داكنـاً وفي اثناء اجتيازهم المكان كانت هناك مخلوقات تتكلم وتضحك وتغني وترقص. اما كـم من الوقت استغرقا في سيرهما ؟ فهذا ما لم يعرفه كوفي.

وفجأة وجدا نفسيهما فوق قمة جبل مرتفع جداً وفي وسط النهار التفـت العفريـت نحو كوفي وقال:

ماذا رأيت في الحجرة المظلمة التي خرجنا منها

- لاشيء

- ماذا سمعت؟

- لاشيء

- الق بنفسك من أعلى هذا الجبل

كان الضباب كثيفاً، ويغطي مسافات على مدى البصر من سفح الجبل حيث لم تكن ترى أي شجرة وكان السكون يخيم على المنطقة فيما كانـت الـشمس سـاطعة فـوق هـذا الضباب والقى كوفي بنفسه من اعلى الجبل الى الاسفل حيث وجد العفريت الـذي اعطـاه مفتاحين وامره قائلاً:

-اكمل طريقك

-ماهذه المفاتيح ؟

-حسناً في طريقك سوف تجد بابين احدهما على الجانب الايمن والاخر على الجانب الايسر افتح الباب الذي على الجهة اليمنى واياك ان تلمس الباب الذي على الجهة اليسرى وكان هذا الباب هو باب قرية العجائز. واصل كوفي سيره وعندما وصل البابين فتح الباب الذي على الجهة اليمنى.

-من اين اتيت ايها الصغير واين انت ذاهب ؟ وقص كوفي حكايته مرة اخرى وكانت كل واحدة من العجائز تريد سماع الحكاية وحدها لكي يتسنى لها فيما بعد روايتها فقص كوفي لكل واحدة منهن الحكاية دون زيادة او نقصان.

- اتريد الذهاب الى امك لكي تحصل على جرة مماثلة للتي كسرتها؟

-يجب عليك تمشيطنا وتنظيف اصابع اقدامنا وتحضر لنا الماء وتغسل لنا وتلبسنا جميعنا قبل الذهاب.

وكان هذا العالم عالم عجائز طاعنات في السن محدوبات يمشين متعكزات على عصيهن وعندما كن ينهضن يسمع صوت مفاصلهن وكان البعض ينهض فلا يستطعن النهوض والسير لانهن يمسكن باليد اليسرى العكازة ويضعن يدهن اليسرى على خواصرهن من شدة الالم. وخضع كوفي لهذا الاختبار الجديد بابتسامة ورضا فقص لكل العجائز القصص الجميلة متنقلاً من واحدة الى الاخرى وكان يضرب الارض ذهاباً واياباً قاصاً الحكايات الجميلة لكل العجائز اللواتي كن يضحكن ويضربن على افخاذهن ويمسكن بطونهن من الضحك وحلت النهاية السعيدة لهذه الاختبارات حيث اعطت اكبر العجائز سناً لكوفي يقطينتين مبينة متى يجب عليه ان يرمي الاولى منهما.

وانطلق كوفي مرة اخرى الى المكان الذي تشير اليه ورمى اليقطينة وما ان لامست اليقطينة الارض حتى رأى كوفي نفسه بصحبة امه التي اعطته بدلاً من المفتاح واليقطينة الثانية ثلاث يقطينات اخريات قائلة له عند الخروج من هذه القرية ارم هذه اليقطينة فسوف تجد نفسك مباشرة في قريتك اما اليقطينتان الاخريان فتحتويان على ثروتك وهذه ايضاً الجرة التي كنت تبحث عنها.

وانطلق كوفي مسروراً حاملاً معه اليقطينتين والجرة. واخيراً حصل على الجرة ولكن حصل عليها مقابل أية الام وأية مشقة، ان قصة التمساح والمخلوق الغريب والعفريت والعجائز كانت تبدو له وهماً وحلماً مخيفاً لولا اثر الندبات على يده والجرة واليقطينتان في يديه.

رمى كوفي اليقطينة الاولى وفجأة وجد نفسه في قريته، لم يتعرف عليه اهل القرية لانه اصبح شيخاً كبيراً. نسى اهل القرية انه في احد الايام وقبل عدة سنين رحل عن القرية يتيماً ليبحث عن الجرة التي عاد بها، كان هذا قبل سنين عديدة خلت مما جعل كبار السن يبذلون جهداً كبيراً ليتذكروه، كانوا يسألون دخان علا بيتهم ولحاهم البيض ورشقات بصقاتهم البعيدة حاكين رؤوسهم ليفتشوا في ركام الذكريات.

اعاد كوفي الجرة لزوجة والده وبعدئذ كسر اليقطينة الاولى فاذا بقصور تخرج من الارض واحداً بعد الاخر، قصور من ذهب لايستطيع الانسان ان ينظر اليها عند شروق الشمس قصوراً على مد البصر وخرجت من اليقطينة الثانية ثروة هائلة ورجال ونساء واطفال لكي يخدموا هذه القصور واصبح كوفي اميراً لم تتحمل زوجة الاب هذا كله وكانت تريد لاولادها مكانة رفيعة لابل اكثر مما حصل عليه كوفي واستحوذت عليها الفكرة التي ابعدت عنها النوم والشهية وكان الحسد يملأ قلبها جذوراً هائلة جداً كجذور شجرة القابوت وجذوراً صلبة وعميقة كجذور شجرة الاكلدجو القاسية وشبكا اشد ظلما من شباك العنكبوت وكانت تطالب في دعائها حينما تشرق الشمس اذابة كل هذه

القصور الذهبية لكن الشمس التي كانت خطوطها الذهبية تنهال كالسهام على قلب زوجة الاب القلب الذي كان يتضخم يوماً بعد يوم من شدة الحسد والغيرة.

وذات صباح وهي خارجة من كوخها وقبل ان تغسل وجهها انهالت ضرباً على ابنها البكر.

-انظر الى كل هذه القصور وانت تأكل ثوران وتنام وتضحك فقط يجب ان تكون لك مثل هذه القصور يجب ان يكون لنا مثلها واكثر منها، يجب ان يكون لنا قصور من الماس تغطي الارض بأجمعها اذهب واعمل كما عمل كوفي اجعل نفسك غنياً. دفعت زوجة الاب ابنها الكبير من رقبته الى الطريق وحالما رأى التمساح على ضفة النهر صرخ.

-اوه... اوه ياله من تمساح قذر.... ياله من وحش... يا الهي

-من ارسلك أيها الصغير؟

-ماهي

-اين تذهب؟

-لاكون غنياً وقوياً مثل كوفي

-اه لقد كان كوفي لطيفاً جداً

-ليس اكثر مني

-اغسل لي ظهري وسوف اساعدك

-انا اغسل ظهرك -ظهر تمساح؟ ظهرك مملؤ بالاشواك والابر، اغسل كل هذه الاقذار

-لا اعرف من اين ابدأ

اغسل لي ظهري

- لم تقل لي امي بأني ذاهب لكي اغسل ظهوراً بل لابحث عن الثروة والقوة

- اطلب منك ان تصحبني الى الجهة الاخرى من النهر

- اصعد على ظهري وهناك ستجد ما تبحث عنه

- ماذا سأجد

- ما تبحث عنه. اصعد

صعد الصبي وانزله التمساح امام الباب الذي انفتح وظهر الوحش الـذي رأسـه في السماء وقدماه في الارض وصرخ الولد فجأة

-ماذا ارى؟ ما هذا؟ واين رأسك وقدماك

واي نوع من الشعر هذا؟ شعر اغصان الاشجار ؟ هناك قمل في شعرك

-قص لي شعري

-اتعتقد بأني اتيت لاقص شعرك؟ فأنت لم تغتسل سوى مرة واحدة منـذ ولـدتك امك ايها الوحش

-اتعتقد بأني جئت لاقص شعرك ؟ كان من الاجدر ان ابقى في قريتـي. لقـد اتيـت لاصبح قوياً وغنياً ككوفي.

-استمر في طريقك وستجد ما تبحث عنه

-وماذا سأجد

-ما تبحث عنه

واصطحبه المخلوق الغريب عند العفريت الذي اقتاده بدوره الى اعلى الجبل وهنالك رحله عند العجائز اللاتي كن اذا تحركت مفاصلهن احدثت ضجيجاً كضجيج الطيور.

وكانت العجائز يذهبن ويأتين وايديهن على خواصرهن والايدي الاخرى تمسك العكازات التي كن يتكئن عليها وشعرهن ابيض كبياض القطن وليس في افواههن أي سن.

ياله من بلد ماذا تنتظرن لكي تمتن انتن؟ اراهن على انكن جميعاً ساحرات. انتن اللائي تقتلن الشباب لانكن تحسدن الشباب والجمال لاتنظرن الي هكذا ايتها الساحرات.. سوف تقتلنني —ولا تستطيع أي منكن ان تمتص عظمي.

لكن كل العجائز يركضن نحوي ويصحن.

-قصر لنا شعرنا، نظف اظافر ايدينا واقدامنا وابحث لنا عن ماء وسوف نساعدك

-تساعدنني انتن؟ كنت على وشك ان اعرض عليكن اني استطيع مساعدتكن لانني استطيع مساعدتكن على الموت ايضاً.

ثم قالت اكبر العجائز سناً بعد ان اعطته اربع يقطينات

سوف ترى. هذه اليقطينة الاولى حالما ترميها على الارض تجد نفسك عند اهلك. اما بالنسبة لليقطينات الثلاث الاخرى اكسرهما وسوف ترى ما تراه.

-رمى الولد اليقطينة الاولى. ووجد نفسه بصحبة امه المتهللة بالبشرى

-لم تتأخر في ان تحمل لنا الثروة والقوة اعطني هذه اليقطينات

اين ستحتفظ بها ؟ ولماذا نحتفظ بها

اليس من الافضل كسرها حالاً... حالاً لكي تشمخ قصورنا بالقرب من هذه القصور

-شكراً لك يا ولدي تعال اضمك الى صدري الذي ازحت عنه حملاً ثقيلاً هذا اليوم اه لو لم ادفعك هذا الصباح من رقبتك لكنت ما تزال تنظر الى الشمس وهي تشرق على

هذه القصور وسوف تحجب عما قريب قصورنا هذه القصور.. كيف يجب مسك اليقطينات؟ نعم لنمسكهن هكذا وليعتلي العالم بقصورنا، ياالخفقات قلبي انصت اليها. وانظر كيف ترتجف يدي يا ولدي

-انظر الى هذه القصور الذهبية التي سوف تختفي في جميعها بين لحظة واخرى. ياللثروة التي تمتلكها في هذه اليقطينة والقوة في هذه الاخرى شكراً لك يا ولدي استطيع ان اتنفس الصعداء الان استطيع ان ارفع رأسي لارى الشمس من الآن فصاعداً تنير الكون بخيوطها الذهبية رمت المرأة بكل قواها اليقطينة على الارض فظهرت في الحال الاسود والنمور وبنات أوى وكل الحيوانات المتوحشة في العالم ولكي تتفادى هذا رمت اليقطينة الثالثة فتفجر اللهب في كل مكان من السماء والارض، من الرياح ومن الصخور والجبال وكان كل شيء من حولهم يلتهب وكانت الحيوانات تطاردهم فكانوا يركضون لكن اللهب كان اسرع منهم واخذ يحيط بهم ويحاصرهم في برج اخر ملتهب عال وحالما رمت اليقطينة الرابعة انشقت الارض وابتلعتهم ثم عادت وانفتحت ثانية وعند الغروب كانت الشمس تتلألأ في قصور كوفي ومنذ حادثة هذه المرأة لم يسىء احد معاملة اليتيم في القارة السوداء.

يوم من الانتظار

للكاتب ارنست همنغواي[1]

دخل الغرفة يغلق النوافذ بينما كنا لم نزل بعد في الفراش ولاحظت ملامح المرض عليه وكان يرتعش ووجهه شاحب. كان يمشي بهدوء. ويجد مشقة في الحركة.

-ماذا هناك يا ياشاتز؟

-ان رأسي يؤلمني

-من الافضل لك ان تعود وترقد في فراشك

-لا هكذا افضل

-اذهب، وارقد في فراشك وسآتي لاراك عندما انهض.

وعندما نزلت، كأن شاتز مرتدياً ثيابه وجالساً بالقرب من النار، وكان شكله يوحي بأنه طفل صغير في التاسعة من عمره كان مريضاً جداً وكانت يده على جبهته، عند ذلك ادركت انه مصاب بالحمى.

-قلت له، اصعد وارقد في فراشك، فأنت مريض

-لا انا على مايرام، اجابني

-وعندما جاء الطبيب فحص درجة حرارة الطفل

---

(1) (1897-1961) الكاتب الامريكي الذي احب طوال حياته الطبيعية كما احب الملاكمة وكان يبحث دائماً عن المغامرة . في هذه الحكاية نرى ارنست همنغواي ليس كما عهدناه من قبل . له ولد عاش حياته في اوربا وعانى في امريكا مفاجأة محزنة.

-كم هي درجة حرارته؟ سألته

-مئة واثنتان

وفي الطابق الارضي ترك الطبيب ثلاثة انواع من كبسولات ذوات الوان مختلفة فضلاً عن تعليمات بكيفية استخدامها. وكانت احدى الكبسولات مخفضة للحرارة والاخرى خاصة بالاسهال اما الثالثة فكانت لمنع الحموضة.

وقال الطبيب موضحاً.

"لاتستطيع ميكروبات الزكام التواجد الا في وسط حامضي. وكان يبدو ان الطبيب على معرفة جيدة بمرض الزكام.

واضاف قائلاً ليس هنالك ما يدعو للقلق اذا لم تتجاوز درجة الحرارة 104.

-فالامر هذا يتعلق بمرض الزكام الذي يعد مرضاً غير خطير في حالة تجنب الاصابة بمرض ذات الرئة.

وعند عودتي الى الغرفة، قمت بتسجيل درجة حرارة الصغير كما قمت بتدوين الساعات التي يجب اعطاؤه فيها مختلف الكبسولات.

-اتود ان أقرأ لك شيئاً ؟

-حسناً اذا اردت ذلك "قال الصغير"

كان وجهه شاحباً جداً وكانت هناك بقع قاتمة تحت عينيه، كما كان طريح الفراش لايتحرك، منقطعاً عما يحيط به ايضاً.

-وقرأت بصوت عال فصولاً من كتاب القراصنة للكاتب "هوارد يايل" ولكنني ادركت انه لم يتابع ماكنت أقرأ له.

فسألته :كيف تشعر الان ياشاتز؟

فأجابني "على ذات الحال لحد الان.

وجلست قرب اسفل السرير وبدأت أقرا لنفسي منتظراً الساعة لاعطائه كبسولة اخرى. وكان من الطبيعي ان ينام قليلاً. ولكن عندما رفعت عيني كان ينظر الى اسفل الفراش بشيء من الغرابة.

-لماذا لاتحاول ان تنام؟ وسوف اوقضك لتناول الدواء.

-افضل ان ابقى يقظاً.

-وقال لي بعد دقيقة.

"ليس هناك حاجة للبقاء معي ان كان ذلك يزعجك يا ابتاه".

-هذا لايزعجني.

-" لا اريد ان اقول انه ليست هناك حاجة للبقاء معي هنا ان كان هذا الشيء يسبب لك الازعاج". فقلت لنفسي لربما أخذ يهذي قليلاً بعدما تناول الكبسولات الموصوفة له في الساعة الحادية عشرة فخرجت بعد دقيقة واحدة. كان يوماً بارداً وكانت الارض مغطاة بالصقيع وكذلك الاشجار والادغال والاعشاب وكانت الارض تبدو مطلية بالصقيع.

اصطحبت معي المربي الايرلندي الشاب للقيام بنزهة على الطريق وعلى طول شواطئ النهر المتجمد ولكن كان من الصعب جداً الوقوف او السير على الارض المغطاة بطبقة من رقاق الجليد وانزلق الكلب الاحمر وسقطت على الارض بقوة، تاركاً بندقيتي تنزلق بعيداً على الجليد.

اطلقت عياراً نارياً على طيور السمان التي كانت على قمة مرتفع يبرز من بين الادغال فقتلت اثنين اختفيا خلف المرتفع. اما الجزء الاكبر من الطيور فقد اختفت بين كومة من الاغصان والادغال. وكان علي ان اقفز عدة مرات فوق حزمة من القش لكي اجعلها تترك المكان وفي اللحظة التي طارت فيها طيور السمان كنت واقفاً غير متزن على

حزمة من الاعشاب يكسوها الصقيع لهذا كان من الصعب اطلاق العيارات النارية على الطيور ومع ذلك قتلت اثنين من الطيور ولم احسب خمسة وعدت ادراجي الى المنزل سعيداً بأنه سوف يكون عدد كبير من الطيور للصيد ليوم آخر.

وفي البيت قالوا لي أن الصغير قد رفض السماح لاي شخص بالدخول الى الغرفة.((لاتدخل)) قال الصغير يجب ان تحصل على ما املك "قال لي". وبعد ان اقتربت منه رأيته في الحالة نفسها التي كنت قد تركته عليها، وجه شاحب ووجنتاه تلمعان من شدة الحمى وهو مستمر بالنظر الى اسفل السرير.

بعد ذلك قمت بقياس درجة حرارته.

"كم هي درجة الحرارة "

-حوالي... قلت له.

كانت درجة حرارته مائة واثنتين واربعة بالعشرة.

"اذا درجة حرارتي مئة واثنتان" قال لي.

-من قال هذا

-الطبيب

-ان درجة حرارتك مناسبة وليس هنالك داع للقلق.

-انا لست قلقاً، ولكن لااستطيع ان امنع نفسي عن التفكير

-لاتفكر، ودع الامور وشأنها

اجابني الصغير بنظرات فاحصة كان طبيعياً ان يتوتر داخلياً بفعل شيء ما.

-تناول هذا الدواء مع قليل من الماء.

-هل تعتقد ان هذا الدواء يفيد شيئاً؟

-بالطبع

وجلست بعد ذلك وفتحت الكتاب على صفحة القراصنة وبدأت القراءة، ولكنـي ادركت انه لايصغي الي.

-في اية ساعة تعتقد انني سوف اموت سألني الصغير.

-سوف لن تموت، ماذا اصابك؟

-آه، نعم فقد سمعت الدكتور يقول :مائة واثنتان.

لايموت الانسان اذا ما ارتفعت درجة حرارته الى مئة واثنتين ومن الحماقـة ان تفكـر بهذه الطريقة.

-اعرف جيداً هذا ففـي فرنـسا عنـدما كنـت في المدرسـة قـال الاولاد أن الانـسان لايستطيع العيش اذا ما وصلت درجة حرارته الى اربعة واربعين درجة حرارتي الان 102.

كان شاتز ينتظر الموت طول النهار أي منذ الساعة التاسعة صباحاً قلت له. فـالامر هنا كالاميال والكيلومترات لن تموت لان الامر لايتعلق بـالمحرار نفسه فالمحـارير التـي ذكرتها تكون درجة حرارتها الطبيعية مقسمة الى ثلاثين درجة وما موجود عندنا هنا درجة حرارة المحرار الطبيعية مقسمة الى ثمان وتسعين درجة.

"آه" اجابني الصغير

وبعد ذلك بدأت نظراته المركزة على اسفل السرير تفقد حدتها شيئاً فشيئاً.

وفي النهاية تلاشى قلقه الداخلي وفي اليوم الثاني كان شاتز يبكي لاتفه الاشياء.

المنضدة هي المنضدة

للكاتب بيتر بيشل Peter Bichsel[1]

سأقص عليكم قصة رجل عجوز، رجل لم يعد يتفوه بكلمة واحدة، رجل ذي وجه مرهق، حتى انه لايستطيع ان يبتسم او يظهر الغضب، يسكن في مدينة صغيرة في نهاية الشارع، على مقربة من مفترق الطرق، وقد سألت نفسي هل يستحق هذا الرجل ان اعنى بوصفه، وهو لايختلف عن غيره من الرجال، ومع هذا فقد أسبل على نفسه لوناً رمادياً، قبعة يحملها، وسروالاً وسترة ومعطفاً شتوياً طويلاً، وله عنق ضامر، وبشرة جعدة، تتكسر على ياقة قميص ابيض.

اما غرفته ففي الطابق العلوي من البيت، كان في غرفته كرسيان ومنضدة وسجادة وفراش ودولاب واحد وعلى المنضدة الصغيرة منبه بجانب صحف قديمة (البوم صور) وعلى الحائط مرآة وصورة. ربما كان في ماضيه متزوجاً، وربما كان له اطفال، وربما كان يسكن في مدينة اخرى، ولكنه -لامحالة- قد كان طفلاً في يوم من الايام، في زمن كانت ثياب الاطفال فيه كملابس الكبار، الاطفال الذين نجد صورهم في محفظة الجدة العجوز وكان يخرج للنزهة في الصباح وبعد الظهر، ويتبادل الحديث مع جاره، ثم يمضي المساء جالساً الى منضدته ويصغي الى دقات الساعة" (تك.. تك.. تك تاك..).

في يوم مشمس معتدل الجو، أشعر الرجل العجوز بسعادة مفاجئة، الطيور مغردة، والناس لطفاء، والاطفال يمرحون، فابتسم وشرع يفكر: كل شيء سيتغير الان، ففتح

---

(1) بيتر بيشل كاتب سويسري كتب اقاصيصه باللغة الالمانية، ولد عاد 1935 وبدأ حياته معلماً ثم تحول اهتمامه الى الصحافة والادب . كانت اقاصيصه المضحكة مستوحاة من ذكريات مهنته في التعليم.

ياقة قميصه، واخذ قبعته بيده، واتخذ سيره بخطوات راقصة، ممتلئا بسعادة غامرة، وانتهى الى الشارع الذي يسكن فيه، فهز رأسه للاطفال، وهو يدلف الى بيته، ويصعد الدرج، ويتناول المفتاح من جيبه ليفتح باب الغرفة، ليجد كل شيء على حاله، المنضدة، والكرسيان والفراش، فترات سعادته بعد ان جلس يصغي الى دقات الساعة مرة اخرى: (تك تاك.. تك تاك) وانتابه خوف كبير وقد رأى وجهه محمراً في المرآة، وعينيه منكمشتين، فضم اصابعه المتشيخة ورفعها ليضرب المنضدة مرة.. ومرة، ويبدأ بالصراخ المتلاحق: يجب ان يتغير هذا.. يجب ان يتغير هذا..

وغاب صوت الساعة بغتة، وآلمته يداه، وخف صوته عندما بدأ يسمع من جديد صوت الساعة لاشيء قد تغير اذن.

المنضدة هي المنضدة

والكرسي هو الكرسي

والفراش، والصورة، والكرسي أنفسها الفراش والصورة فالمنضدة اسميها منضدة والصورة اسميها صورة والفراش يسمى فراشاً والكرسي يسمى كرسياً والصورة "بكجر " وتسمى الكرسي "جير" ومع هذا نحن نتفاهم والصينيون يتفاهمون فيما بينهم ايضاً.

((فلماذا لايسمى الفراش صورة ؟تساءل الرجل وابتسم وبدأ بالضحك بعد ذلك واخذ يضحك كثيراًالى ان ضرب الجيران الحائط منادين (هدوء).

((والان سيتغير هذا، صرخ الرجل ومنذ ذلك الوقت بدأ يسمي الفراش صورة وقال بعد ذلك (انا مرهق سأذهب الى الصورة).

وغالباً ما كان يبقى طويلاً في الصورة صباحاً متسائلاً كيف كان يسمي الكرسي وسماه بعد ذلك (منبهاً).

نهض من فراشه وارتدى ملابسه وجلس على المنبه واضعاً مرفقيه على المنضدة التي لم تعد تسمى منضدة فهي تسمى الان سجادة، في الصباح كان يخرج رجلنا من صورته ويرتدي ملابسه ويجلس على المنبه امام السجادة متسائلاً :كيف يتمكن من تسمية هذه الاشياء جيداً.

كان يسمي الفراش صورة

وكان يسمي المنضدة سجادة

وكان يسمي الكرسي منبهاً

وكان يسمي الجريدة فراشاً

وكان يسمي المرآة كرسياً

وكان يسمي المنبه البوماً

وكان يسمي الدولاب جريدة

وكان يسمي السجادة دولاباً

وكان يسمي الصورة منضدة

وكان يسمي الالبوم مرآة

ها هو في الصباح يبقى مدة طويلة المنظر، وفي الساعة التاسعة يرن الالبوم فينهض ويمشي على الدولاب كي لا تبرد قدماه ومن ثم كان يأخذ ملابسه من الجريدة ويرتديها وينظر الى نفسه في الكرسي المعلق على الحائط. ثم يجلس على المنبه امام السجادة بعد ذلك يتصفح المرآة ويتوقف عند منضدة امه.

وكان يجد متعة بتسمية هذه الاشياء لذلك كان يبقى طول النهار يتدرب على حفظ هذه الكلمات الجديدة. بعد ذلك اعاد تعميد جميع الاشياء فان الرجل لم تعد تسمى رجلاً بل قدما والقدم وتسمى اصبعاً والاصبع تسمى رجلاً.

والان تستطيعون ان تكملوا القصة بأنفسكم كما تستطيعون عمل الشيء نفسه الذي قام به الرجل وكذلك بمقدوركم ان تغيروا معنى الكلمات

نستعمل يقرع : بمعنى يطرح

نستعمل يبرد بمعنى: ينظر

نستعمل يرقد بمعنى :يقرع

نستعمل ينهض بمعنى :يبرد

نستعمل يطرح بمعنى: يتصفح

واليكم ما يعني هذا:

جميع الرجال كان القدم العجوز يبقى مدة طويلة يقرع في صورته وفي الساعة التاسعة يبدأ الالبوم بالطرح وتبرد القدم ويتصفح على الدولاب كي لاينظر الصباح. اشترى الرجل العجوز دفاتر مدرسية بغطاء ازرق وملأها بكلمات جديدة كان ملء الدفاتر يتطلب وقتاً طويلاً حتى انه لم يعد يرى في الشارع الا نادراً لان ملء الدفاتر كان يتطلب عملاً كبيراً.

وبعد ذلك تعلم جميع الكلمات الجديدة لكل الاشياء وفي الوقت عينه كان ينسى تدريجيا الاسماء الصحيحة للاشياء ولهذا فقد امتلك لغة جديدة لاتنسب الا اليه. وانتهى به الامر انه يحلم بلغته الجديدة هذه فترجم بلغته الجديدة الاغاني التي تعلمها في المدرسة واخذ يغنيها بصوت خافت.

وبعد فترة وجيزة كان يجد مشقة في الترجمة لانه كان قد نسى تقريباً لغته القديمة ولهذا اجبر على البحث عن الكلمات الصحيحة في دفاتره الزرقاء. واخذ يخاف التحدث الى الناس اذا كان يتوجب عليه ان يفكر طويلاً حتى يدرك كيف كان الناس يسمون الاشياء :

فصورته يسميها الناس فراشاً

وسجادته يسميها الناس منضدة

ومنبهه يسميه الناس كرسياً

وفراشه يسميه الناس جريدة

وكرسيه يسميه الناس مرآة

والبوم الصور يسميه الناس منبهاً

وجريدته يسميه الناس دولاباً

ودولابه يسميه الناس سجادة

ومنضدته يسميه الناس منظراً

ومرآته يسميها الناس البوماً، لم يتمكن صاحبنا في النهاية من ان يمنع نفسه الضحك عندما كان يسمع الناس يتكلمون. فكان يضحك عندما كان يسمع شخصاً يقول ((وانت)) هل ستذهب غداً ايضاً لمشاهدة مباراة كرة القدم ؟ او عندما كان شخص يقول: منذ شهرين حتى الان لم يتوقف سقوط المطر او ان يقول : لي عم في امريكا.

لم يكن يستطيع ان يمنع نفسه الضحك لانه لم يعد يفهم بعد ما كان يعنى بكل هذه الاشياء. ومع ذلك فهذه ليست بقصة مضحكة لان البداية محزنة والنهاية محزنة كذلك.

فالرجل العجوز ذو المعطف الرمادي لم يعد يفهم الناس فهذا الشيء لم يكن خطـيراً في حد ذاته، ولكن الاخطر من ذلك هو ان الناس لم تعد تفهمه، ولهـذا الـسبب انتهـى بـه الامر الى ان لايتفوه بشيء فكان صامتاً لا يتكلم الا مع نفسه ولم يعد يسلم عليه احد ابداً.

مغامرة في كلابر (Calabre)

للكاتب بول –لويس كوريية[1]

الى السيدة بيكال في مدينة ليل ريزانا قرب بورتسي في الاول من نوفمبر عام 1807 سافرت الى كلابر بلد الاشرار، الذي اعتقد سكانها لايحبون شخصاً قط ولاسيما الفرنسيين. ولأخبركم لماذا يكرهون الفرنسيين في قصة طويلة ولكن يكفي ان اقول لكم انهم يكرهوننا حتى الموت وان وقع فرنسي بين ايديهم فسيقضي وقتاً سيئاً دون شك. وكان يرافقني في هذه الرحلة شاب ذو هيئة.. توحي بالثقة، السيد الذي رأيناه في رينسي Raincy.(اتذكر فيه؟) وربما افضل منه ايضاً لكنني لا أقول لك هذا لاثير اهتمامك ولكنها الحقيقة.

ان الطريق في هذه الجبال وعرة حتى ان جيادنا كانت تسير بصعوبة بالغة. ظللنا الطريق عندما سلك صديق سفري ممراً بدا له انه اكثر الممرات استخداماً واكثر قصراً من غيره. وكان هذا خطأ مني ايجب علي ان اتبع شاباً يبلغ العشرين من عمره؟

بحثنا عن طريقنا خلال هذه الغابات طوال النهار وكلما توغلنا في هذه الغابات تهنا اكثر وعندما حل الليل الدامس وصلنا قرب بيت مظلم جداً ودخلنا المنزل دون ريبة لكن ما العمل؟ وهناك وجدنا جميع افراد العائلة التي تزاول بيع الفحم على مائدة الطعام، فدعتنا العائلة لنشاركها الطعام فوافق صديقي على الفور دون تردد وبدأنا نتناول الطعام والشراب وكنت اتفحص المكان ومنجم مضيفينا في الحقيقة كانت هذه العائلة تملك منجم فحم، اما البيت فكان يبدو كأنه ترسانة لم يكن فيه سوى البنادق والمسدسات والسيوف والخناجر والسكاكين لم يرق لي كل هذا وادرك بأن ازعج الاخرين ايضاً، على العكس كان

(1) ولد عام 1782 وفي عام 1825 كان ضابطاً في المدفعية في عهد الامبراطورية . ترجم عدة مؤلفات من الاغريقية القديمة كما يعد قاصاً مدافعاً عن الحرية في كثير من كتاباته الهجائية المتميزة بالتهكم.

صديقي يبدو كأنه احد افراد العائلة فكان يضحك ويتبادل الحديث معهم ويتبجح، كان علي ان اتكهن النتيجة(ولكن ماذا، اذا كان كل شيء مكتوباً)ففي البداية قال صديقي لهم من اين اتينا والى اين نحن ذاهبون واين كنا، فرنسيون، تصوروا قليلاً ذلك، في بيت ألد اعدائنا، وحيدين وتائهين، وبعيدين جداً عن مساعدة، أي انسان فضلاً عن ذلك ولكي لاننسى حاقداً خسرناه تظاهر صديقي بالغنى ووعد هؤلاء الناس ومرشدينا لليوم التالي بتعويضهم كل مايطلبون. واخيراً تحدث عن حقيبة طالباً منهم ان يهتموا بها كثيراً وان يضعوها قرب رأس السرير قائلاً لهم انه لايرغب بوسادة اخرى غيرها.

آه شباب شباب كم ارثي على عمرك يا ابنة عمي، كان يعتقد اننا نحمل مجوهرات التاج... ان ماموجود في الحقيبة كان يسبب قلقاً شديداً لصديقي لم يكن سوى رسائل من خطيبته انتهى العشاء وتركنا وحدنا وكان مضيفنا يرقد في الطابق الاسفل، اما نحن فكنا في الغرفة العليا التي ترتفع بسبعة او ثمانية اقدام مرتبطة بسلم التي تناولنا العشاء فيها، واعدت لنا غرفة منام، وكانت وكن ملئت روافده بمؤمن السنة. وضع صديقي رأسه على حقيبته الثمينة ونام على الفور اما انا فقررت ان لا انام فاشعلت ناراً وجلست بالقرب منها.

انتهى الليل كله تقريباً بهدوء وبدأت اشعر بطلوع الفجر وفي ذلك الحين سمعت مضيفنا وزوجته يتحاوران فاسترقت السمع عبر المدخنة التي تصلنا بالغرفة السفلى وقد ميزت الكلمات التي تفوه بها، حسناً واخيراً لنرى هل يجب قتل الاثنين ؟ واجابته زوجته نعم وبعد ذلك لم اسمع شيئاً بعد.

ماذا اقول لك ؟بدأت اتنفس بصعوبة واصبح جسدي بارداً كالمرمر في الحالة التي كنت فيها يصعب عليك التمييز في كوني ميتاً ام حياً. ياالله عندما افكر بهذا ايضاً لوجدت دون سلاح وضد واحد او اثني عشر يملكون كثيراً من الاسلحة وكان صديقي مرهقاً جداً وقد اخذه النعاس لم اتجاسر على مناداته خوفاً من احداث ضوضاء ولم استطع الهرب

وحدي على الرغم من الشباك المطل خارج البيت الذي لم يكن عالياً لان هناك كلبين كبيرين يلهثان كالذئاب..

تصوري أية حالة كنت فيها. وفي نهاية ربع الساعة التي بدت لي ردحاً من الزمن، سمعت صوت شخص على الدرج ومن خرم الباب رأيت رب الدار حاملاً مصباحاً بيد وبيده الاخرى سكيناً ضخمة، كان يصعد الدرج وزوجته من ورائه وانا كنت خلف الباب. فتح الباب ولكن قبل ان يدخل وضع الذي تناولته زوجته وبعد ذلك دخلا الغرفة حافيي القدمين وكانت زوجته خلفه، تقول له بصوت منخفض حاجبة ضياء المصباح الوهاج بأصابعها على مهلك على مهلك.

صعد الزوج على درج السلم والسكين بين اسنانه ووصل الى اعلى السرير يا لهذا الشاب المسكين الذي لا حول له ولا قوة مقدماً حنجرته، تناول الزوج السكينة بيد وبيده الاخرى.. آه يا ابنة عمي.. كأنه يمسك بخنزير معلق في السقف ويقطعه الى قطع صغيرة وينسحب مثلما دخل اول مرة. وينغلق الباب ويختفي ضياء المصباح وبقيت وحيداً مع تأملات افكاري.

وحالما انشق الفجر قدم جميع افراد العائلة لايقاضنا كما كنا قد طلبنا منهم جلبوا لنا الطعام وقدموا لنا وجبة غذاء شهية جداً. أؤكد لك يا ابنة عمي انهم قدموا لنا ديكين مقطعين تقطيعاً جيداً وقال الزوج لنا كلوا ديكاً واحداً واحملوا الاخر واخيراً ادركت معنى الكلمات التي تفوه بها سابقاً هل نقتل كلبها؟

اتصدقين الان يا ابنة عمي ماذا كان يعني كل ذلك في الحاضر، اعذريني يا ابنة عمي وارجو ان لاتقصي هذه القصة على احد وذلك لانك كما ترين لم العب فيها دوراً مميزاً. كما انت كنت قد افسدت هذه القصة. ثقي يا ابنة عمي في ان اتملقك فان هيئتك تفسد حكايتك وانا ولا فخر امتلك ينبوعاً لاينفذ للقصص التي تخيف.... لكن انت كنت تريدين ان تقصي شيئاً ؟فتناولي موضوعات تناسبك كموضوعات علم النفس مثلاً.

الحجارة المسحورة

للكاتب جان بوكاس دي كاميرون(1313ـ1375)[1]

ترجمه جان بورسية

نلاحظ في مدينتنا انواعاً عديدة من النماذج المضحكة حقاً وكان يعيش هناك رسام يدعى كالندرا. انه رجل بسيط، ذو هيئة طريفة وغالباً ما يرافق اثنين من زملائه هما برونو و بوفالماك. وكلاهما ينتميان الى مجتمع مقبول ففي مجتمع لبق ومليء بالحذاقة ولايبحثان عن صحبة كالندرا الا للتهكم دوماً بسلوكيته وسذاجته.

يعد فلورنس بين جيرانه مثل ماسوديل ساكيو، شاباً معتدلاً، و رجلاً فطيناً بحيث انه يعرف كيف يتصرف. وقد سمع ماسو الكثير عن سذاجة كالندرا وبناء على ذلك قرر ان يمزح معه بعمل مقلب على حسابه وذلك بأقناعه بوجود شي مثير جداً. ففي احد الايام التقى به في كنيسة سان جيوفاني، متأملاً امام اللوحات والنحوت داخل الرواق التي تهيمن على الهيكل الذي لم ننفك عن انشائه. واعتقد ماسو حينئذ بأن الفرصة مواتية له فاقترب من المكان الذي كان فيه كالندرا واخبر اثنين من اصحابه بأن يتظاهرا بأنهما ينهمكان بمحادثة طويلة حول الاحجار المختلفة وهو الموضوع الذي يعد محور تفكير ماسو ويحيط بجميع جوانبه بصورة كاملة، وان يعطينا انطباعاً بأنهما لايريا كالندرا.

---

(1) ولد جان بوكاس الايطالي الاصل في باريس ويعد اباً للحكايات، فان نصوص "دي كاميرون" تعد قصصاً وحكايات في آن واحد، وهي سرد روائي تمثل نوعاً جديدا من الحكايات تتناول عادة موضوعات مختلفة ذات طابع ادبي . وهي سرد احداث غريبة دراماتيكية حيث يقدم فيها الراوي موضوعه ويعطي انطباعاً انه اول من يقدم وآخر من يعلم بها.

وبهذا الاسلوب استطاع الاثنان ان يسرقا اذن كالندرا الذي مافتئ يوجه الاسئلة الى اناس اخرين حول مكان الاحجار التي نحن بصددها.

-على الاغلب في بير لنزون، في اراضي الباسك في محافظة البيكوري، اجاب ماسو انها المدينة التي تشتهر بالغلاء ويوجد فيها جبل من الجبن المبروش الصافي، وسكان المنطقة منهمكون دائماً بتحضير الماكروني والرافيولي (نوع من المعجنات المحشوة باللحم)، وغالباً ما يطهون ذلك بمرق مثومة كما انها تشتهر بنوع من السوب (الشوربة) المستخرج من اللحم البقري.

-انها بلاد جيدة ولكن اخبرني عن الطيور التي تم طبخها ماذا حل بها؟

-حسناً، اكلها الباسك كلها.

-وهل ذهبت الى هناك؟

-واذا ذهبت هناك؟ الف مرة افضل من مرة واحدة

-وكم فرسخاً تبعد؟

-الفاً الفاً كما تعني اميل.

-اذن هذا يعني ابعد بقليل من الابروز

-نعم على هذا الاساس

-وامام جدية ماسو الرصينة، سمع كالندرا الساذج الكلام بكل الثقة التي تستحق الحقيقة الساطعة وقد اقتنع بذلك دون أي شك.

- انها بعيدة نوعاً ما. فلو كانت قريبة فسوف اصاحبك مرة الى هناك لمشاهدة تحضير المعكرونة وسوف اكون قرير العين. ولكن ارجو ان تخبريني، من فضلك، فيما اذا توجد مثل هذه الاحجار في بلادنا

- نعـم، هنالـك نوعـان منهـا لهـا قيمـة عليـا. فـالنوع الاول يعـرف بأحجـار سيتينانوومونتسي الذي نصنع منه الرحى لطحن الحبوب. ففي البقاع التي اتحـدث عنهـا، نكرر، على سبيل المثال المثل القائل : من الاله تأتي الخيرات ومن مونتسي تـأتي الرحـى. الا انه لدينا مافيه الكفاية من هذه الاحجار ولكننـا لانأخـذهما بالحسبان. وبالنـسبة للنـاس هناك، فان الشيء نفسه فيما يتعلق بالزمرد. فان لديهم جبلاً اعلى من مونت-موريلويهلل في منتصف الليل، قائلاً : يعيش الاله. وباحتصار، يكتفي بأخذ قياس الرحـى قبـل احـداث الشـقب فيها ومن ثم نربح الاموال التي نريدها. اما لنوع الثاني من الاحجار فهو نـوع مـن الاحجار الكريمة العاكسة التي تتمتع بقوة خارقة بحيث لها القدرة على اخفـاء الـشخص الذي يحملها وجعله غير منظور في الوقت نفسه.

- حسناً انه امر لابأس به، ولكن اين يوجد النوع الثاني من الاحجار هذه ؟

- في مونون بصورة عامة.

- ماهو حجمها وما لونها ؟

- بالنسبة لحجمها فهو مختلف قد تكون صغيرة تارة وكبيرة تارة اخرى اما بالنـسبة للونها فانه على الاكثر اسود.

لقد وضع كالندرا جميع هذه المعلومات في رأسه واعطى انطباعاً بكونه منشغلاً بأمر اخر تاركاً ماسو وقرر ان يبدأ بالبحث عن هذه الاحجار. الا انه لايرغب في ان يأخذ عـلى عاتقه هذه المهمة دون رأي برونو وبافلماك الـرأي الـذي يحبـه بـصورة خاصـة. فقـد بـدأ بالبحث عن اثنين من اصدقائه وعليه ان يقوم بمبادرة سريعة حيث انه قضى صـباح ذلـك اليوم جارياً وراء اصدقائه وعندئذ دقت ساعة الراهبات التي ذكرته بأنهم يعملون في ديـر فاينزا للراهبات. وعلى الرغم من حرارة الجو فانـه اجـبر عـلى الـتخلي عـن البحـث عـن اصدقائه الا انه انضم الى رجلين ودعاهما -اصدقائي-اذا اردتم ان تـصدقوني نـستطيع ان نصبح من اكثر اغنياء فلورنس وكما قال لي شـخص جـرئ وموضـع ثقـة بانـه يوجـد في

مونون احجار يكفي ان تضعها عليك لكي تجعلك غير مرئي، وقبل ان يغرم بـذلك عـلى المرء ان يبحث عنها في الحال. وسوف نجدها لانني اعرفها وعندما نجدها سوف لايبقـى لنا ما نقوم به الـيس كـذلك؟ الا ان نـضعها في بورصـتنا ومـن ثـم نـذهب الى طـاولات الصرافين، الطاولات التي تتميز بكونها مليئة بالعملات كل يوم، كـما تعلمـون، وبـذلك نستطيع الحصول على كل ما نريد. وسنصبح اغنياء بصورة مفاجئة ونكون بذلك قد انهينا مرحلة تلطيش الجدران طوال الايام كالبزاق.

اهتز برونو وبافلماك بدواخلهما مـن شـدة الرغبـة في الـضحك عنـدما سـمعا هـذه الكلمات من كالندرا وتبادلا النظرات بينهما بحيث خيم عليهما نوع من الدهشة وفي الوقت نفسه قدما التهنئة الى كالندرا على مشروعه هذا. وقد طلب بافلماك اسم تلك الحجـارة الا ان كالندرا الذي لم يكن يتمتع بذكاء متميز نسي اسمها.

-واسمها، ما الشيء الذي من الممكن ان نفعله بالاسم طالمـا اننـا عرفنـا تأثيراتهـا؟ وانني موافق على ان نقوم بعملية البحث وعلى جناح السرعة.

-حسناً، قال برونو، ولكن كيف صنعت هذه الحجارة؟

-هنالك نوعان، ولكن على العموم فان النوعين تقريباً لونها اسود. واعتقد انه مـن المهم ان نجمع جميع الاحجار ذات اللون الاسود حتى نعثر عـلى الحجـارة التـي نريـدها. ولذلك يجب ان الا نضيع وقت اكثر هيا بنا.

انتظر قليلاً، قال برونو الذي كان يستدير تجاه بافلماك.

-يبدو لي ان كالندرا محق في ذلك. ولكن حسب اعتقادي انها ليست اللحظة الملائمة للانطلاق الشمس لاتزال عالية فهي تسطع على جبـل مونـون ممـا حـدا الى جفـاف جميـع الاحجار فهنالك انواع من الاحجار تبدو بيضاء ونحن نحسبها سوداء. وهذا ليس فقـط السبب الوحيد وانما هناك سبب اخر الا وهو ان العمـل في مثـل هـذا اليـوم لايـوصي بـه

للحشود الكبيرة من الناس الموجودة الان على جبل مونون. وعندما يراقبون عملنا فانهم سيكونون قادرين على اكتشاف مانقوم به. وهذا سيدفع بهم الى تقليدنا بعملنا ونخشى ان نقع تحت وطاتهم ونفقد الحجارة وهنا كأننا نجرب الهملجة (١).

واذا اتفقنا على رأي فعلينا ان نحاول في الصباح عندما نميز تماماً بين الابيض والاسود والاكثر من ذلك في يوم عيد حتى لايرانا احد هناك.

-لقد وافق بافلياك على ماقاله برونو مما دفع كالندرا الى تبني رأيهما على شرط ان يتم تحديد صباح يوم الاحد القادم فنذهب نحن الثلاثة للبحث عن هذه الحجارة. وقد طلب كالندرا من الاثنين ان لايبيحا بشيء خاصة وانه السر الذي اؤتمنا عليه. وبدأ يحدثهما عما يعرف عن منطقة بيكودي وبدأ يقسم بالالهة بأن مايدلي به صحيح جداً. ومن ثم رحل تاركاً الاثنين في ضحكهما. ان صاحبنا ينتظر بفارغ الصبر صباح يوم الاحد. وقد جاء اليوم الموعود واستيقظ مبكراً في الفجر ودعا رفاقه. نخرج من بوابة سان كالوثم ننزل الى مونون ومن ثم ننهمك بالبحث عن الحجارة المشهورة. وكالندرا الذي كان يتمتع بنشاط متميز ويثب حالا من جانب الى اخر عندما يلمح حجارة سوداء ويدخلها في بدلته. اما صاحباه فانهما يتبعانه بجمع الاحجار بين الفينة والفنية. والى هذا الحد لم نكن قد مشينا مسافة بعيدة واذا ببدلة كالندرا قد ملئت بالاحجار. ومن ثم رفع كالندرا ذيل قميصه، القميص الذي لم يكن مناسباً تماماً للطراز الموجود انذاك فقد خيط فيه جيب كبير بفضل حزام خاص ربط حتى نهايته. الا ان القميص لم ينتظر طويلاً لانه انتفخ تماماً. فقد احضر خرجاً في معطفه مليء الاخر بالاحجار. ولما راى برونو وبافلياك صديقتها محملاً ومثقلاً في حين ان ساعة الغداء بدأت تقترب، وكالمعتاد قال برونو الى بافلياك:

-وكالندرا الى اين ذهب؟

---

(١) الهملجة: السير على القائمتين.

-نظر بافلماك الى جانبه يمعن النظر في جميع الجهات. لا اعلم شيئاً، لقد كان امامنا قبل برهة.

-آه لقد قلت انه كان هنا قبل قليل وكنت متأكداً من ذلك ربما ذهب الى بيته لتناول الحساء وتركنا فجأة. وهل يتمتم علينا ان نكون اغبياء لكي نذهب للبحث عن الاحجار السوداء تحت المونون؟

-لقد استهزأ بنا عندما زرعنا هنا، وقد اتصفنا فعلاً بالغباء عندما صدقناه.

لعنك الله، لم نكن نتصف بالعقل عندما تصورنا ان في مونون حجارة مسحورة. وعندما سمع كالندرا هذه الاحاديث تصور كأن الحجارة المشهورة فقط تحت يديه وكأننا لم نستطع ان نفهم حضوره. ولم يستطع ان يسيطر على فرحه دون التفوه بكلمة واحدة وقرر الرجوع الى منزله.

بدأ يرجع الى الخلف ومن ثم بدأ بالصعود.

وقال بافلماك الى برونو:

-اذن ماذا نصنع ؟ نذهب، اليس كذلك؟

-نذهب. ولكن سوف يأخذني كالندرا مرة ثانية. فلو كان بالقرب مني الان كما كان هذا الصباح لضربت كعبيه بهذه الحصاة لكيلا ننسى مافعل بنا لمدة شهر.

وبعد ان قال هذه الكلمات -فتح يده وسعى بالحصاة الى عرقوب كالندرا ونتيجة للضربة والالم رفع كالندرا رجله الى الاعلى وبدأ يصرخ الا انه صمت وتابع طريقه.

-اخذ بافلماك احدى الصوانات المدببة الي كان قد جمعها.

-آه، يالها من صوان جميلة. فانها قادرة على ان تغرزفي صلب كالندرا ورمى الحصاة التي صدمت صلب كالندرا.

وباختصار، وبهذا الاسلوب قام الشريكان بتبادل آرائهما وصعدا المونون حتى بوابة سان كالو. وعند وصولهما الى البوابة تخلصا من الاحجار التي جمعوها وبقيا برهة مع الموظف الكمركي الذي اصبح على بينه من الامر. وقد تظاهر موظفو الكمارك بأنهم لايرون كالندرا وسمحوا له بالمرور دون توقف ووصل هذا الساذج بيته الذي يقع بالقرب من المول. ليس على ضفاف الانهار او شوارع المدينة، أي شخص يستطيع كالندرا، ان يحدثه انه حقاً كان ساعة الغداء.

دخل كالندرا منزله مع حمولته وكانت زوجته تيسا امرأة جميلة وكانت في اعالي الدرج وهي زوجة لطيفة لكن تأخير زوجها كان كافياً ليفقدها مزاجها الوديع وعلى الرغم من ذلك بدأت تساؤلاتها بطريقة جميلة:

-اذن، ياعزيزي، انتهى الشيطان لاصطحابك الى هنا. لقد انتهى الجميع الان من تناول الطعام وجئت الان تريد ان تتناول طعام الغداء.

ان وقع هذه الكلمات على كالندرا أفهمه بأنه يرى. وبكل غضب انطلق صارخاً:

-انها المرأة الشريرة، ماذا تفعلين هنا ؟ انك تعلمين على تدميري. ولكن اقسم بالله بأنك ستدفعين ثمن ذلك. وقفز الى احدى الغرف لوضع جميع الاحجار التي جمعها وركض الى زوجته كالاهوج وامسكها من شعرها ملقياً اياها على الارض وعلى قدر ما يستطيع وانهال عليها ضرباً مبرحاً. لقد أمسكت بها وصرخت طالبة الرحمة.

اما بالنسبة لبافلماك وبرونو فانهما غصا في الضحك العميق مع الحراس، ثم عملا على ابطاء خطواتهما عندما اقتفيا اثر كالندرا حتى وصولهما الى باب منزله لكي يسمعا عن كثب ما يحدث بين كالندرا وزوجته. ويبدو انهما وصلا في اللحظة المناسبة عندما طرقا الباب. بتعرق شديد وبوجه احمر اطل كالندرا من النافذة طالباً منهما الدخول الى المنزل. ودخلا المنزل الا انهما اخفيا التضايق الذي يشعران به. كانت الصالة مليئة بالاحجار، وفي احدى الزوايا ظهرت زوجته بشعر اشعث وبوجه يندب وظهرت السيدة تنحب من شدة

الالم وفي الزاوية الثانية ظهر كالندرا بثيابه الممزقة جالساً ولكنه منهار القوى والاثنان يستحقان النظر اليهما للتأمل بمظهرهما.

-اذن ماذا ؟ هل ستقوم بتشييد جدار اخر بهذه الاحجار التي نراها هنا؟

ثم اضافا:

والسيدة تيسا، ماذا حل بها؟ ونحن على وشك ان نقول. هل ضربها كالندرا ماهذا وما حقيقة هذه القصة؟

-كالندرا الذي اجهدته تلك الاحجار وبسبب ضربه لزوجته كان ضجراً جداً لم يستطع الاجابة على السؤال. وبعد لحظة اضاف بافلماك:

-كالندرا اذا كنت غاضباً لسبب اخر فانه من غير المعقول ان تكون على مثل هذه الحالة. فقد اتيت بنا لكي نبحث عن الاحجار الكريمة وقد غادرتنا دون توديعنا وزرعتنا هناك كغبيين غادرتها هل فهمت ؟فانه من الصعب ان تحصل على الشيء. ولكن كان لك الحظ عندما التقيت بنا في المرة الاخيرة.

ونتيجة لسماعه هذه الكلمات قام كالندرا بجهد لكي يجيب قائلاً:

-لاتضجر ياصديقي. فقد حدث كل هذا على خلاف ما تعتقد انه سوء الحظ ولم استطع ان احصل الا على سوء الحظ. فقد وجدت الحجارة. ففي المرة الاولى عندما كنتما قلقين نحوي، وعند عودتي رجعت مسرعاً ولهذا السبب لم تستطيعا ان تلحقا بي ووصلت قبلكما. وقد حدثهما بكل ما قام به من البداية الى النهاية.

-وبعد ذلك اقسم، استطرد قائلاً، عندما وصلت الباب مع الاحجار التي جمعتها والتي ترونها، وكما تعلمان ان هذه الاحجار مزعجة وهذا ليس كل ما أريد ان اقوله، فقد قابلت في طريقي مجموعة الاصدقاء من الذين يرغبون دائماً بالقيام بدردشة عابرة او توجيه الدعوة لي لكي نشرب سوية. حسناً لم يتفوه احدهم بأي كلمة. وهذا يعني انهم لم يروني.

واخيراً وصلت البيت–وشيطنة زوجتي التي الفتها ظهرت امامي فقد رأتني، والسبب كما تعلمان، ان النساء يعملن على فقدان نوعية جميع الاشياء. وهكـذا استطيع ان اقـول انـني اغنى رجل في فلورنس بقيت الاسوأ حظاً. وبهذا انهلت عليها ضرباً بكل مـا أوتيـت مـن قوة. ولذلك اردت ان اجرح عروقها. انني ألعـن الـساعة الاولى التـي التقيـت بهـا والمـرة الاولى التي دخلت فيها هذا المنزل. وقد تجدد غضبه ثانية حيث انه هم بالقيام مـرة اخـرى لينهال عليها ضرباً. وعند اصغائهما الى كلمات كالندرا اكد بافلماك وبرونـو هـذه الاقـوال واظهرا نوعاً من الدهشة الحقيقية. الا انهما كانا على وشك ان يغـصا مـن الـضحك فعنـد مارأوه في حالة انفجار مرة اخرى ولديه الرغبة في القيام بضرب زوجتـه تيـسا امـسكا بـه وحالا دون ان يضرب زوجته وقالا ليس لزوجته أي سبب بكل ما حصل وانما الحـظ هـو الذي يتحمل ذلك. علماً بأنـه في كثـير مـن الاحيـان تكـون النـساء سـبباً لمـا يحـدث مـن مشاحنات في المنزل، الا ان هذه المرة لم يكن لها أي نصيب في ذلك. وفي هذه المرة افقـده الله قواه العقلية وراح يؤنب نفسه لخداعه اصـدقاؤه ولمـاذا لم يبلـغ الاخـرين بـها اسـتطاع ان يكتشفه ؟ وقد اجهد نفسه بفـصاحه، الا ان زوجتـه التـي كانـت لاتـزال مكتئبـة قامـت بمصالحة زوجها وعندما غادر برونو وبافلماك تركا كالندرا يتجرع مصيبته وسط الاحجار التي ملأت المنزل.

المسافر الساكن

للكاتب جان جيانو 1895-1970[1]

في ناحية ما في الزقاق رأيت مخزوناً صغيراً للبقالة عليه الهدوء بينما تسير دفة الحياة في الشوارع الاخرى بصورة نشيطة لوجود المحلات المكتضة. فان اصحاب المحلات الحديثة يمتلكون الات متطورة لاقتطاع اللحم مثلاً وميزاناً حديثاً ذا جدول يحتوي على اللوغارتمات وحوجلات لانواع التوابل وعلباً خاصة لتجميد الاسماك. ففي هذا المخزن الصغير هناك الكثير من المواد المتفرقة. ويذكرني هذا المخزن بزياراتي الاولى لهذا البلد. وتذكرت امسيات يوم الخميس عندما كانوا يأخذونني الى خالتي. ويوجد في الشارع الصغير بيت قديم ذو شرف حديدية. ان ابواب هذا المنزل خشبية تهتز عادة عند هبوب الرياح فتحدث اصواتاً مزعجة. في داخل الغرف التي تمثل حقولاً للاعمال اليدوية هناك مدفأة صغيرة تعمل على الحطب. واتذكر كيف ان خالتي تحركت من كرسيها محدثة صوتاً من التنورة المدعوكة التي كانت ترتديها فضلاً عن الصوت الذي احدثه الكرسي.

نزلت مرة من الطابق الاول بلطف وذهبت الى الشارع، اخيراً وجدت نفسي بالقرب من بقالية الانسة الواسون. آه يا آنسة الواسون. كانت طويلة القامة واعتادت على فرك يديها في اثناء حديثها. فقالت: اه جانو، لقد اتيت اخيراً عند خالك. كانت تتكلم وتتحسر في الوقت نفسه. وعندما دخلت الى المخزن تركتني وحدي لانها كانت تعلم ماجئت ابحث عنه.

لم يكن هناك سوى مصباح واحد يعمل بالزيت معلق باطار نحاسي. ويبدو لي انني كنت داخل صدر طائر عندما كنت داخل المخزن. فالسقف كان على شكل قبة. انني اذن داخل صدر طائر؟ او في قعر سفينة. وفي داخل الدكان اكياس من الرز، وعلب للسكر

(1) كاتب فرنسي احب اقليمه حباً جماً.

وقنينة خردل. وموقد ذو ثلاثة ارجل واناء للزيتون، وقليل من الجبن الابيض على طبق من قصب واناء في داخله اسماك. فضلاً عن وجود نوع اخر من السمك وهو المورة معلق على عارضة خشبية بحيث يعكس ظلاً على الواجهة المصنوعة من ورق المقوى، وعندما وقفت على رؤوس اصابع قدمي رأيت الخيوط الصينية. وعندما تقدمت ببطء بدأت الارضية تتموج لانها كانت مصنوعة من الواح خشبية رقيقة. ثم رفعت غطاء علبة الفلفل ففاحت رائحتها الطيبة، ثم عطست "احذر ان تصاب بالزكام" يا جانو قالت الانسة. فأجبت: كلا يا انستي ثم سحبت مجر القهوة، انها لرائحة طيبة. واخيراً ذهبت الى المكان الذي يوجد فيه السكر فتناولت قطعة منه وعندما وضعتها تحت لساني تقرفصت بين كيس الحمص وسلة البصل حيث غمرني الظل ثم رجلت.

المرأة الطيبة

للكاتب ادوارد دي لابولاي[1]

القصص الزرقاء

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل طيب يدعى كود براند، يعيش في حقل معزول يقع على منحدر ناء يسمى ايضاً بمنحدر كود براند.

وكانت زوجة كود براند طيبة ويعيش الاثنان بسلام تام ويتمتعان بسعادة بالغة ولم يعيرا اية اهمية للثروة والسنين. وعندما كان كود براند يقوم بعمل ما كانت زوجته تفكر فيه وتبارك له وتتمنى له النجاح وكان لديها الحدس فيما سيقوم به من اعمال واعتاد على تقديم الشكر لها على ذلك.

الحياة بالنسبة لهما كانت بسيطة خالية من الصعاب، وحوزتهم حقل ومبلغ من النقود يقدر بمائة ريال فرنسي داخل احدى مجرات البوفية فضلاً عن بقرتين في الاسطبل ولا ينقصهم شيء وهما سيهرمان ولكن ببطء شديد دون الشعور بالتعب او المأساة ودون ان يكونا بحاجة الى عطف الاخرين او صداقتهم.

وعندما كانا غارقين في حديث طويل حول عملهما ومشاريعهما بادرت زوجة كود براند بالقول لزوجها:

---

(1) ادوارد دي لابولاي (1811-1883) كاتب فرنسي وهو محام ورجل سياسة، بذل جهوداً حثيثة للجمهورية الثالثة، له مؤلفات في التاريخ والأدب، كتب القصص الزرقاء، التي تعد منسية في الوقت الحاضر . لماذا زرقاء ؟ يجيب هو قائلاً: ان غلاف الكتاب المصدر للجمهور كان لونه ازرق وعلى مدى ثلاثة قرون.

-زوجي العزيز، جائتني فكرة :عليك ان تأخذ احدى البقرتين لكي تبيعها في المدينة، اما الاخرى التي سنحتفظ بها فستكون كافية لنا من ناحية الزبدة والحليب ولا يوجد ما يجبرنا على ان نتعب انفسنا. فلدينا المال الموجود في داخل المجر ثم انه ليس لدينا اطفال. علينا ان نصون ايدينا التي بدأت تهرم نوعاً ما، اليس كذلك؟ وسيكون لدينا متسع من الوقت لكيلا ننشغل بالمنزل كثيراً طالما اننا لسنا بحاجة الى اثاث او الات، اما بالنسبة لي فانني سأكون على مقربة منك اكثر من ذي قبل مع مغزلي.

وجد كود براند زوجته على حق كالمعتاد، وفي اليوم التالي، وفي صباح جميل ذهب الى المدينة ومعه البقرة التي يريد ان يبيعها. الا انه لم يجد من يشتريها.

-حسناً حسناً قال كود براند، وعلى أسوأ الافتراضات لم اعان الا من اعادة بقرتي من حيث اخذتها فلدي العلف والمكان المخصص للبقرة كما ان الطريق ليس بعيداً في حالة الاياب عنه في الذهاب. واخذ طريقه بهدوء الى المنزل.

-وبعد ساعات قليلة وعند شعوره بالتعب صادف رجلاً يقتاد فرساً، انه حيوان ذو عنق قوية وضع عليه السرج واللجام. واعتقد كود براند ان الطريق طويل وسيحل الظلام بسرعة، ولكي يسحب بقرته فان الطريق سيطول عليه اكثر وعليه ان يبدأ هذه الرحلة مرة اخرى في اليوم التالي وبناء على ذلك اعتقد ان هذا الحصان سوف يرتب اموره بصورة افضل وعند دخوله الى البيت ومعه الحصان فانه سيشعر بالزهو اكثر من الحاكم نفسه، اما بالنسبة لزوجته فانها ستكون سعيدة عندما ترى زوجها يمتطي فرساً كامبراطور روماني منتصر.

وبعد هذا التأمل الطويل استوقف النخاس واستبدل بقرته بالحصان -وعندما امتطاه للمرة الاولى شعر بالاسف الشديد فقد كان كود براند عجوزاً وثقيلاً في حين ان الحصان كان لايزال صغيراً وذا حيوية وجفول وفي غضون نصف ساعة بدأ كود براند

بالسير على الاقدام ماسكاً اللجام بيده وساحباً الحيوان الذي كان رافعاً رأسه ويشب على كل حجارة في الطريق.

واعتقد كود براند انه اقتنى شيئاً وعندها لمح فلاحاً يدفع امامه خنزيراً سميناً ويكاد بطنه يلامس الارض.

-مسمار مفيد خير من ماس براق لاينفع، قال كود براند، هكذا تكرر زوجتي هذه العبارة دائماً.

-استبدل حصانه بهذا الخنزير.

-لقد كانت فكرة رائعة، الا ان الرجل الطيب لم يأخذ بالحسبان مضيفه. فقد كان دوم بورسو تعباً ولم يعد قادراً على الحركة. تكلم كود براند وحلف بان هذه العملية ليست بذي فائدة. ثم سحب الخنزير من خرطومه وبدأ يدفعه وانهال عليه بالضرب من جميع الجهات، انه يعتقد ان الخنزير سيبقى خنزيراً.

-وعند مرور احد المزارعين امامه تأسف كثيراً وكان يقود معزى قد ملئت درتها بالحليب وكانت تقفز وتركض وتتقلب بحيوية تسر الناظرين.

-هذا ما يعجبني، صرخ كود براند، انني احب هذه المعزى المتبخترة اكثر من هذا الحيوان الغبي القذر. وبلا تردد استبدل الخنزير بالمعزة.

-وسار كل شيء على ما يرام خلال نصف ساعة وهذه المعزى كأنها (فتاة) ذات قرنين طويلتين، بدا كود براند يستهزئ من افعاله وقال : عندما نتعدى العشرين من العمر فانه من المتعب ان نتسلق الصخور. واذا به يلاقي راعياً في طريقه ومعه قطيع من الغنم مما جعله يقتنع باستبدال العنزة بنعجة وقال : سوف يكون لدي الكثير من الحليب، ان هذا الحيوان هادئ وسوف لايتعبني ولا يتعب زوجتي.

واتخذ كود براند قراراً جيداً، فانه لايوجد حيوان اقل نعومة من النعجة فهي مسكينة ولا تنطح الا انها تسير ببطء وكثيرة الشكوك. فقد فصلها كود براند عن اخواتها وبدأ يسحبها الا انها تتحسر بتعاسة.

وفجاة صرخ وقال : انها عنيدة ومتباكية كزوجة جارنا. ومن ذا الذي ينقذني من هذا الحيوان المتأوه المتباكي ؟سوف اتخلص منه بأي ثمن.

وقال احد الفلاحين الذي مر عندما انفض السوق: خذ هذه الوزة السمينة فهي افضل بكثير من هذه النعجة الشريرة التي ستموت خلال ساعة.

-اوه، قال كود براند، وزة حية خير من نعجة ميتة.

وجلب عه الوزة.

-انه لم يعد شيئاً هيناً، فالوزة كانت قرينة سيئة، فهي قلقة وتدافع بمنقارها وارجلها واجنحتها، فقد بدا كود براند تعباً.

-اه، قال كود براند، الوزة حيوان قبيح ولا تريدها زوجتي في المنزل.

-وعند توقفه في اول حقل قايض الوزة بديك جميل غزير الريش ذي مهاميز.

-وفي هذه المرة غدا كود براند مقتنعاً وقال : صحيح ان الديك كثير الصياح بين الحين والاخر بصوت اجش يطرب الاذن ولكن طالما نربط رجليه سوف يتعود على هذه الحالة. فالهم الوحيد الذي يساوره الان هو ان النهار بدا ينتهي حيث ان كود براند غادر منزله في الفجر وسوف يخيم عليه الليل دون ان يتناول أي طعام ودون نقود. فالطريق كان طويلاً وهو بكونه مزارعاً اخذ يشعر بوهن في رجليه شأن اغلب المزارعين يضاف الى ذلك الجوع الشديد الذي يعاني منه وفي اول حانة وصلها اضطر لبيع الديك بريال صرفه على اشباع جوعه. وقد فكر كود براند بجدوى الاحتفاظ بالديك وهو يموت جوعاً؟

وعند اقترابه من المنزل فانه رأى سيد كوكو مما جعله يفكر مليا بالاسلوب الذي اتبعه وادى الى تغيير رحلته. وقبل دخوله المنزل وقف امام منزل جيرانه بيير لاباري كريز كما يسمى في المنطقة.

حسناً ياصديقي، قال لاباري كريز، كيف كانت امورك في المدينة ؟

-بين بين، اجاب كود براند، لا استطيع ان اقول لك انني كنت سعيداً جداً ولا استطيع ان اشكو ثم روى ماحدث له.

-قال بيير : يا جاري، حسناً فعلت وسوف تستقبل بحفاوة من زوجتك. لتحفظك السماء؟

-حسناً قال كود براند، ان الامور سوف لاتسير على ما يرام معي، ولكن في هذه اللحظة اشعر بالهدوء، وسواء اكنت على صواب ام على خطأ فان زوجتي الطيبة سوف لاتتفوه بكلمة واحدة عما عملته.

-انني اصغي اليك يا جاري ومعجب بك ولكن مع كل الاحترام الذي اكنه لك لا اصدق اية كلمة من كل ما ذكرته لي.

-هل ترغب ان تراهنني انه لدي الحق في ذلك ؟قال كود براند دوكوتو. لدي في المجر مائة ريال ولدي استعداد ان اراهنك على عشرين ريالاً، فما رأيك بذلك؟

-نعم، قال بيير في الحال.

ودخل الاثنان منزل كود براند، حيث بقي بيير على باب الغرفة لكي ينصت على ما سيحدث بين الزوج والزوجة.

-مساء الخير ياعجوزتي، قال كود براند.

-مساء الخير، اجابت المرأة الطيبة، وانت ياصديقي؟ كيف انقضى نهارك؟

-ليس جيداً وليس سيئاً، قال كود براند، فعندما وصلت الى المدينة لم اجد شخصاً ابيعه بقرتنا ولم يتسن لي سوى استبدالها بحصان.

-مقابل حصان قالت المرأة، انها فكرة جيدة. انني اشكرك من كل قلبي، نستطيع اذن الذهاب الى الكنيسة على حصان مثل كثير من الناس الذين ليسوا افضل منا. فاذا امتلكنا حصاناً فنستطيع ان نقدم له الاكل ولنا الحق في ذلك وسوف لانكون بحاجة الى أي انسان :اين الحصان؟ يجب وضعه في المربط.

-انني لم اجلبه الى هنا، قال كود براند، فبينما كنت ماشياً في الطريق غيرت رأيي وقايضته بخنزير.

-هل ترى، قالت المرأة، حسناً مافعلت، فلو كنت مكانك لم افعل غير ذلك. اشكرك مائة مرة.

والان عندما يقوم جيراننا بزيارتي سيكون بمقدوري تقديم قطعة من لحم الخنزير لهم. وهل تعتقد اننا بحاجة الى حصان ؟فسيقال عنا: انظروا الى المتكبرين، انهما ينظران اعلى من غيرهما وافضل من غيرهما من الذين يذهبون الى الكنيسة. ضع الخنزير في مكانه.

-انني لم اجلب الخنزير معي، قال كود براند، فعندما كنت ماشياً استبدلته بمعزة.

-حسناً قالت المرأة الطيبة، انك رجل عاقل وخبير فعندما فكرت بالخنزير بدأت تتساءل لماذا هذا الخنزير ؟سيسخر منا الناس ويقولون: انظروا الى هؤلاء يأكلون كل ما يربحون. ولكن بمعزتي سأحصل على الحليب والجبن دون التحدث الى اصحاب المراعي. ضع المعزة حالاً في مكانها.

-انني لم اجلب المعزة معي، قال كودبران، فقد استبدلتها بنعجة.

-انني اعترف بك الان، قالت المرأة، انك عملت ذلك من اجلي، فهل انني بذلك العمر الذي يساعدني على الركض وراء المعزة ؟لكن النعجة تعطيني صوفها ولبنها، ضعها في الاسطبل.

-لكني لم اجلبها معي ايضاً، قال كود براند، فقد بادلتها بوزة.

-شكراً، شكراً من كل قلبي، قالت المرأة الطيبة، ماذا يمكنني ان افعل بالنعجة ؟فليس لدي مغزل، فالغزل عمل صعب يتطلب التفصيل ثم الخياطة. فانه من الاسهل شراء الملابس كما كنا نفعل دائماً. لكن وزة سمينة هو ما احتاجه دون شك. فانني احتاج الى ريشها لعمل الفراش، كما انني منذ فترة اتمنى ان اتناول قطعة من لحم الوزة. ضعها حالاً في القن.

-انني لم اجلبها معي الى هنا لانني قايضتها بديك.

-صديقي العزيز، قالت المرأة انك اكثر حكمة مني، انه امر مذهل، فالديك افضل بكثير من الساعة التي تعيد نصبها كل ثماني ساعات ويوم. فالديك يصيح في الساعة الرابعة من صباح كل يوم بحيث يبلغنا بأنه قد حان الوقت لتقديم الحمد لله ويبلغنا ببدء العمل. فما يمكننا ان نفعل بالوزة ؟ لا استطيع ان احضرهما كوجبة طعام. الحمد لله، انني لا احتاج سوى الريش. ضع الديك في القن بسرعة.

-انني لم اجلبه معي الى هنا، قال كود براند، وذلك عندما انقضى النهار بدأت اشعر بالجوع الشديد مما اضطرني الى بيع الديك بريال واحد وبدونه كدت اموت جوعاً.

-الحمد لله الذي اعطاك هذه الفكرة الجيدة، قالت المرأة الطيبة. ان كل ما فعلته نابع من قلبي، فهل نحن بحاجة الى الديك ؟فنحن اسياد انفسنا واعتقد انه لايوجد انسان يستطيع ان يفرض علينا اوامره، فنحن نستطيع ان نبقى في المنام الى أي وقت نريد. وانت

هنا الان، يا صديقي العزيز، انني سعيده ولا احتاج الى شيء واحد، وهـو الـشعور بأنـك قريب مني.

-فتح كود براند عندئذ الباب.

-حسناً، يا جاري بيير، ماذا تقول ؟ اذهب واجلب 20 ريالاً.

-فقبل زوجة العجوز من خديها برغبة شديدة وحنان اكثر وكأنها فتاة في العـشرين من عمرها.

انني مريض

ككاتب سامبي وكوسينين

نيكولاس الصغير

شعرت بصحة جيدة يوم أمس بدليل انني تناولت الكثير من الكاراميل والجكليت والكعك والبطاطس المقلية والمرطبات، الا انني في المساء بدأت أتساءل لماذا كنت مريضاً جداً.

قدم الطبيب هذا الصباح، وعندما دخل الى غرفتي بدأت بالبكاء كعادتي، فالطبيب كان رجلاً لطيفاً جداً ويسرني كثيراً عندما يضع رأسه على صدري بحيث انني ارى صلعته التي تبرق تحت انفي، انه شيء مسل فعلاً. ولم يبق الطبيب وقتاً طويلاً وضربني بكل لطف على خدي وقال لأمي: ضعيه في المنام، ثم انصرف.

قالت لي امي: هل سمعت ما قاله الطبيب، اتمنى ان تكون هادئاً ومطيعاً. انني في الحقيقة احب امي حباً كثيراً واطيعها في الوقت نفسه. وهذا افضل لانه بدون ذلك ستكون لي مشاكل كثيرة.

اخذت كتاباً وبدأت اقرأه، كان مسلياً ومليئاً بالصور، وكان يتحدث عن دب صغير فقد في الغابة التي يكثر فيها الصيادون. انني افضل دائماً قصص المغامرات الا ان عمتي (بوشيري) تقدم لي في مناسبة عيد ميلادي كتاباً مليئاً بصور الدب الصغير والارانب والقطط وجميع انواع الحيوانات الصغيرة، فانها تحب ذلك على مايبدو.

وقد انهكت بالقراءة، وهنا اخذ الذئب الشرير بأكل الدب الصغير عندها دخلت والدتي الغرفة مع السيست صديقي وهو سمين جداً و يأكل طوال الوقت.

-انظر بيكولا، قالت والدتي، جاء صديقك الصغير السيست لزيارتك انها ظرافة منه اليس كذلك؟

-صباح الخير، السيست، وقلت له (طيب منك مجيئك) عندها طلبت والدتي عدم تكرار كلمة (طيب) دائماً. وعندما رأيت علبة بيد السيست قلت :ماذا تحمل هنا السيست؟

احمل الشوكولة، اجاب السيست. قالت والدتي :انه كريم جداً الا انها لاترغب في ان يعطيني هذه الشوكولاته لانني كنت مريضاً لكن السيست قال: انه لايفكر في اعطائي الشوكولاته لانه جلبها معه ليأكلها بنفسه، ثم انني اذا اردت الشوكولاته فانني استطيع الذهاب لشرائها. وبعد ذلك نظرت والدتي الى السيست بصورة لاتخلو من الدهشة وتنهدت ثم خرجت مشيرة علي ان نكون وديعين. جلس السيست بالقرب من منامي واخذ ينظر الي دون التفوه بأية كلمة لانشغاله بأكل الشوكولاته مما بعث في نفسي الرغبة الشديدة في الشوكولاته. فقلت له : ((السيست، اعطني من هذه الشوكولاته)) ؟ فأجاب : انك لست مريضاً فقلت: انك لست لطيفاً. فقال لي:

يجب ان لا تقول كلمة (لطيف) ووضع قطعتين من الشوكولاته في فمه وعندئذ بدأ الشجار بيننا. قدمت والدتي راكضة وهي ليست سعيدة. فصلتنا وطلبت من السيست الرحيل. اما بالنسبة لي فانه يزعجني رحيل السيست لاننا نتسلى سوية الا انني ادركت بأنه لايريد ان يزعج والدتي ولذلك لم اناقشها لانها كانت جدية في ذلك. صافحني السيست وقال لي الى اللقاء ثم ذهب. انني في الحقيقة احب السيست فهو صديقي.

وعندما رأت والدتي فراشي بدأت بالصراخ لاننا قد وسخنا شرشف المنام بقطع الشوكولاته التي سحقت على الشرشف وكانت هنالك قطع من الشوكولاته المسحوقة على بيجامتي وشعري ايضاً.

فقالت لي امي أني كنت مزعجاً وبادرت بتغيير الشرشف ثم اخذتني الى الحمام وقامت بتشطيفي بقطعة من الاسفنج والكولونيا واعطتني بيجامة نظيفة زرقاء مقلمة. ومن ثم ارجعتني الى المنام وطلبت مني الا ازعجها ثانية. بقيت وحيداً، ثم تناولت كتابي الذي يتحدث عن الدب الصغير. لقد قام الذئب الخائن بعمله الا انه لم يستطع ان ينال من الدب الصغير وذلك لان احد الصيادين استطاع ان يصيب الذئب غير ان هناك اسداً الان يروم اكل الدب الصغير والدب لايراه لانه كان منهمكاً بأكل العسل. وكل هذا جعلني اشعر بالجوع وقد فكرت بطلب والدتي الا انني لم ارغب في ازعاجها لانها اوصتني بذلك، ثم نهضت للبحث عن شيء يؤكل في الثلاجة.

هناك اشياء لذيذة كثيرة في الثلاجة. اننا في الحقيقة نأكل ما طاب من الاكل في المنزل فأخذت بيدي فخذ دجاجة، انها باردة، واخذت ايضاً الكعك مع الكريم وبطلاً من الحليب (نيكولاس) سمعت صوتاً مدوياً من خلفي، مما دفع في نفسي الخوف وارجعت كل شيء الى مكانه، كانت أمي داخلة الى المطبخ، ولم تكن تتوقع ان تجدني هناك. فبكيت لان أمي لم تكن راضية عن ذلك. ولم تقل لي أي شيء اخر واصطحبتني الى الحمام ونظفتني بقطعة من الاسفنج والكولونيا وبدلت بجامتي وذلك لأن الكعك والكريم قد تركا بعض اللطخات، فوضعت البيجامة المربعة وبعثتني الى غرفة النوم بسرعة لانام لانه كان لزاماً عليها تنظيف المطبخ. وعندما عدت الى منامي، لم ارغب في اخذ الكتاب الذي يتحدث عن الدب الصغير مرة اخرى لان كل العالم يريد ان يأكل، لقد ضجرت مما اسمع حول الدب الصغير الذي جعلني اقوم ببعض الحماقات. والان لايسرني ان ابقى كذلك دون ان اشغل نفسي، ولذلك قررت ان اقوم ببعض الرسوم، فذهبت الى مكتب والدي لكي اجلب كل ما احتاجه لهذا الغرض. ولم اكن ارغب في اخذ الاوراق البيضاء الجميلة التي تحمل اسم والدي المكتوب بحروف براقة في الزاوية لان ذلك سيسبب لي بعض المشاكل. لذلك قررت اخذ الاوراق التي سبق ان كتب والدي على قسم منها الا ان ما كتب عليها ليس بذي فائدة. واخذت كذلك قلمه القديم الذي لايسبب لي المشاكل.

وبسرعة دخلت غرفتي وبدأت ارسم بعض الرسوم البديعة، سفناً حربية وقلاعاً حيث يوجد فيها مقاتلون، وطالما انني لم احدث ضوضاء منذ برهة جاءت والدتي لكي ترى ما يحدث.

يجب القول ان قلم والدي قد نفد حبره ولذلك لم يعد والدي يستخدمه، وكالسابق كانت والدتي غاضبة فلم يرق لها استخدامي تلك الاوراق لكونها تحمل اموراً مهمة جداً بالنسبة لوالدي.

رفعتني والدتي واستبدلت الشرشف واخذتني الى الحمام وفركت جسمي بنوع من الحجر الهش مع ما تبقى من الكولونيا في القنينة وارتديت قميصاً قديماً لوالدي لعدم وجود بيجامة نظيفة.

وفي المساء قدم الطبيب ووضع رأسه على صدري فأخرجت لساني مما جعله يضربني بلطف على خدي وقال لي بأني شفيت ويمكنني الان ان ارفع رأسي. وفي الحقيقة لم يكن لنا الحظ السعيد مع الامراض في البيت فقد وجد الطبيب ان والدتي لم تكن بصحة جيدة فأخبرها بأن ترتاح وتلازم الفراش.

الرحلة الجميلة

للكاتب انطون جيخوف (1860-1904)[1]

لقد كان فولوديا هنا سمعنا صراخه في الفناء.

-ان صغيري فولوديا كان هنا، قالت نتالي العجوز اللطيفة وهي مسرعة في غرفة الطعام. اخيراً وصل فولوديا، فولوديا، فولوديا...

ان عائلة كوروليف كانت تنتظر فولوديا بفارغ الصبر وضعت نفسها على الشبابيك. وفجأة وقفت امام المنزل مركبة ثقيلة تجرها ثلاثة خيول تاركة ضباباً كثيفاً من البخار. فقد بدت المركبة دون ركاب لان فولوديا كان موجوداً في غرفة الانتظار، وباصابع حمراء فك خماره وكانت سترته وقبعته وشعره مرشوشات بطبقة خفيفة من الثلج المتساقط والجميع يشمون رائحة جذابة للشتاء بحيث تقشعر جلودنا من ذلك وعلى وشك ان نقول: (برررر، برررر)...

وقد القت امه وخالته بنفسيهما على رقبة فولوديا لكي تقبلاه. اما نتالي العجوز فقد القت نفسها على ركبته لكي تسحب جزمته المصنوعة من اللبد. وتدافعت اخواته الصغيرات وسمع صراخهن. اما والده، الذي كان يمسك مقصاً بيده فقد قال: كنا ننتظرك منذ يوم امس وقد وصلت الان دون أي ازعاج، دعوني اقبله فانني والده.

-واه، واه، بدأ الكلب ينبح بصوت مددي يصدع الجدران، ومنذ دقائق تعالت اصوات التهليل والاعجاب والتمنيات بعودة فولوديا. وعندما خفتت هذه الاصوات

---

(1) كاتب روسي له مؤلفات عديدة فضلاً عن الروايات والقصص والحكايات التي تصور الحياة في روسيا في نهاية القرن التاسع عشر.

وجدت عائلة فولوديا شاباً في غرفة الانتظار، قد لف نفسه بـشال ومعطـف وخمـار كلهـا مرشوشات بالثلج.

-من هذا الشاب يا فولوديا ؟سألت امه بصوت خافت.

-اه، قال فولوديا، يشرفني ان اقدم لكم صديقي جيجيفـون في الـصف الثـاني وقـد اصطحبته معي لقضاء العطلة عندنا.

-سعيد جداً، سعيد جداً، صاح الاب بانشراح، اهلاً وسـهلاً بكـم، وقـد سـاعدته نتالي على نزع معطفه.

-وبعد دقائق جلس فولوديا مع صديقه على مائدة الطعام لتناول الـشاي بعـد هـذا الاستقبال الحار. فالجو كان مشمساًحتى ان شمس الشتاء كانت تنعكس على السماور.

-نحن هنا الان عشية عيد الميلاد، قال الاب اثناء لف سيجارة من التبغ ويبدو لي ان والدتك قد بكت كثيراً يوم امس عندما اصطحبتك الى المدرسة وها انت الان قـد عـدت، كيف يمضي الوقت سريعاً حتى انه ليس لديها الوقت لكي تقول اف. وستصبح على مقربة من الشيخوخة، تناول الشاي جيجفيرن لانه لايوجد لدينا مراسيم.

اما اخوات فولوديا الثلاث : كاتيا، سـونيا، وماشـا، (اكـبرهن عمـراً 11 سـنة) لم تفارق عيونهن القادم الجديد، فان عمر جيجنفرن يناهز عمر فولوديا وهو بنفس الطول الا انه اقل بياضاً واحمراراً من الاخ الاكبر. فهو يميل الى اللون الاسمر وفي وجهه نمـش، امـا شعره فقد كان مجعـداً، امـا فتحـة عيونـه فقـد كانـت ضـيقة وكـان ذا شـفتين غليظتـين وباختصار فانه قبيح نوعاً ما. ولحسن الحظ كانت سترته جميلة ذات ازرار وكانت تـضفي عليه بعض الجمال، فهو شاب صامت لايبتسم اطلاقاً. واعتقدت الصبية انه يتمتـع بـذكاء وخبير بالامور. ويبدو عليه انه غارق في افكار عميقة اذا ما استوجب. وقد وجدت البنات الثلاث ان فولوديا كان مرحاً دائماً وثرثاراً، يبدو هـذه المـرة صـامتاً ومـشغول البـال، امـا

صديقه فانه لاتبدو عليه علامات الارتياح في البيت. ولم يتفوه بكلمة الا عندما وجه كلامه الى الاخوات الثلاث وقال جملة غريبة مشيراً الى السماور وقال: في كاليفورنيا، لايستخدم هذا السماور للشاب وانما للخمر من نوع الجن. وبعد تناول الشاي ذهب الجميع الى غرفة الاطفال، واستمر الاب والصبية بالعمل ثانية ذلك العمل الذي قوطع بوصول فولوديا وصديقه. فهم يصنعون اكاليل من الزهور الورقية الملونة. فهو عمل ممتع، وكان الاب مفعماً بالحماس الا انه ينزعج احياناً عندما لايقص المقص الورق بصورة جيدة، مما يجدر به الى ان يرميه على الارض. وتدخل الام من وقت الى اخر الى غرفة الاطفال الا انها غاضبة وفزعة متسائلة عن الذي يستطيع ان يتجرأ ويلمس مقصاً.

انه انت بالتأكيد، ولا احد غيرك قالت لزوجها.

-بحق السماء صرخت بصوت متباك، ولم يريدوا اعطاءها المقص.

ومرة اخرى، يشارك فولوديا بالتركيبات اللازمة لاعياد الميلاد، ويذهب عادة لرؤية الراعي والخيال الذين يصنعون جبلاً صغيراً من الثلج في الفناء.

ولكنه الان لايلقي نظرة واحدة على الورق الجميل الملون ولا يخرج من البيت. فهو يبقى في زاوية مظلة مع السيد جيجفنرن ويتحدث الاثنان بصوت منخفض، وينشران خارطة جغرافية كبيرة ويتبادلان مشاريع غريبة لانسمع الا مقتطفات قليلة منها:

-نذهب اولاً الى بيرم، قال صديق فولوديا بصوت منخفض، ومن ثم الى كومسك، ومن هناك سنكون على مقربة من كامجاتكا، وفي ساموادیز نؤجر قارباً لعبور بيرنج ونجد انفسنا اخيراً في اميركا واذا كان الجو بارداً فنستطيع ارتداء الفرو.

-وكاليفورنيا ؟ سأل فولوديا.

-في الجنوب، المهم هو الوصول الى امريكا ومن ثم ليست الا لعبة اطفال. وفي الطريق سيكون غداؤنا هو مانصطاده وما نستطيع ان نسرقه.

اما جيجفنرن فانه لايوجه حديثه الى الاخوات الثلاث بل حتى نظراته اليهن مليئة بالشكوك. وفي المساء، وجد نفسه منفرداً مع الاخوات الثلاث، وبدا الصمت مزعجاً، وعندئذ بدأ يشعل بشدة مرات عديدة ملقياً نظرته بدقة على كاتيا وقال :

-هل قرأت كتب فينموركوبر ؟

-لا، وانت هل تعرف التزلج على الجليد؟

لم يجب على السؤال وانما بدأ بالصغير وكان الجو حاراً ثم رفع عينيه تجاه كاتيا وقال:

-عندما ما يعبر قطيع من الثيران الامريكية السهول تهز الارض، وتفر الفرسان فزعة وهي تصهل.

-ثم ابتسم الشاب بحزن واضاف:

-ويهاجم الهنود المسافرين ولكن المزعج جداً البعوض ودود الارض.

-وما هذا ؟

-نوع من النحل لديه اجنحة تؤذي لسعاته وانا، وانت تعرفين من انا ؟

-حسناً، انت السيد جيجنفرن.

-كلا، انني مونتيكومو -كريف- دوفوتور، الرئيس غير المنظور.

وهذه الاحاديث المبهمة والاسرار التي قالها لفولوديا بعثت في انفسهن شكوكا بالغة خاصة انهن يعرفن ان اخوهن لايلعب معهن.

-وبناء على ذلك قررت اثنتان من البنات مراقبة الشابين.

-وفي المساء عندما اعتقدن انهما ناما في الغرفة قامت اثنتان منهن بالاصغاء عبر الباب الى مايقوله الشابان. ايتها السماء يتهيأ الاثنان للهروب الى امريكا للبحث عن الذهب وقد هيآ كل ما يحتاجانه لرحلتهما :مسدس، سكينان، كعك، وعدسة كبيرة لايقاد

النار، وبوصلة واربعة روبلات. ويعرفان ان امامهما الان الاف الكيلومترات لقطعها، ولعلها يصطدمان ببعض الحيوانات المفترسة كالنمور وغيرها من اجل الحصول على الذهب والعاج. ثم يشربان الجن ثم يتزوجان فتيات جميلات ويكتشفان انواعاً عديدة من النباتات. وفي حماسهما سيتوقف الولدان في طريقهما مرات ليتبادلا الاحاديث وينادي الواحد الاخر منتوكومو —كريف— دي فوتور ولوفريد —او فيزاج بال.

-قالت كاتيا لسونيا: يجب عدم التحدث باية كلمة لأمي حول هذا الموضوع. فان فولوديا سيجلب لنا اسنان الفيل، فاذا اخبرت امي بذلك فانها ستحول دون سفرهما.

وعشية عيد الميلاد كان جيجفرن يمعن النظر طوال الوقت بخارطة اسيا مدونا الكثير من الملاحظات في مفكرته. اما فولوديا فقد كان كئيباً وصامتاً. وعندما يمر امام الصور المقدسة الموجودة في غرفة الاطفال يتوقف ويعمل اشارة الصليب، ويحدث نفسه:

-استميحك عذراً يا الهي وارحم والدتي الفقيرة.

-وفي المساء رأيناه يبكي في زاوية، وقبل الذهاب الى النوم قبل والده ووالدته واخواته، كانت كاتيا وسونيا تفهمان جيداً السبب، اما الاخرون فانهم لايفهمون ذلك.

-وفي ساعة مبكرة من صباح عيد الميلاد، استيقظت كاتيا وسونيا دون احداث اية ضوضاء وذهبا مرة اخرى للتنصت خلف باب غرفة الولدين.

-اذن لاتأتي، قال جيجفنرن بصوت مزعج، اخبرني بصراحة هل تأتي ام لا ؟ بكى فولوديا بصوت خافت وقال عبر عبراته:

-كيف استطيع ان اذهب ؟ فلدي الكثير من الاحزان على امي.

-اخي ذو الوجه الاصفر ارجوك، تعال معي ؟فانك انت الذي رغبت في الرحيل فانك انت الذي جعلني اقرر الذهاب والشروع بهذه الرحلة والان ينتابك الخوف؟

-لكن لا، لا اخاف فانني سأتألم كثيراً عندما افكر في احزان والدتي.

واخيراً هل تأتي ام لا ؟

-سوف اذهب أؤكد لك، ولكن تمهل، لدي الرغبة في قضاء عدة ايام اخرى في المنزل.

-وفي هذه الحالة، وداعاً، وسأذهب وحدي قرر جيجنفرن لست بحاجة اليك. وهكذا تحدثت عن صيد النمور ومقارعة الحيوانات المقدسة صاح مونتيكوركريف دو فوتور مونجا.

-اذن اعطني مسدسي.

-بدأ فولوديا يبكي بصوت عال، فالصبية في الجانب الاخر من الباب لم يمنعهم شيء من البكاء.

-كانت هناك برهة من صمت طويل ثم طلب جيجفنرن مرة اخرى:

-اذن لاتأتي ؟

-نعم اذهب معك

-ارتد ملابسك بسرعة.

-ومن اجل تشجيع صديقه الفقير فولوديا، فان جيجنفرن بدأ بالتحدث عن امريكا والسفن، والحيوانات المفترسة، وقد وعده باعطائه جلود الحيوانات التي سيصطادونها.

وهذا الولد القبيح، ذو الشعر المجعد، والوجه المنمش، ظهر بمظهر جيد امام الصبيين، الذين يتنصتن لفصاحته. فقد استطاع ان يقلد صوت النمر وقرر ان يصبح بطلاً.

ثم دخلت البنتان غرفتهما، ولم يستطع احد ان يلاحظ غيابهما، وكاتيا التي كانت عيناها مليئان بالدموع همست باذن سونيا:

-انني حقاً خائفة.

-وحتى الساعة الواحدة عندما حان وقت الغداء سار كل شيء على مايرام، وعندما بدأوا بالاكل لاحظوا ان الولدين لم يكونا معهم.

وتم البحث عنهما في الاسطبل، ولكن بلا جدوى، ثم بعثنا الكلاب في الريف للبحث عنهما الا اننا لم نجدهما وعندما جلسنا نتناول الشاي لم يكن الولدان معنا. فقد بحثنا عنهما طوال الليل بواسطة الفانوس في الحقل وعلى شاطئ النهر. بكت الوالدة كثيراً. وفي اليوم التالي ذهبنا الى الشرطة وجاء معنا احد افراد الشرطة الى البيت جلس يدون الكثير من المعلومات في سجله الا ان الوالدة كانت تبكي كثيراً.

وفجأة توقفت مركبة امام المنزل تجرها ثلاثة خيول:

-هذا هو فولوديا صرخا سوية في الفناء.

-لقد وصل فولوديا صرخت نتالي العجوز، عندما كانت ذاهبة ركضاً الى غرفة الطعام. اما ميلورد فقد تأوهت كثيراً.


وعندما دخل فولوديا غرفة الاطفال القى نفسه على عنق والدته واجهش بالبكاء، وكان الصبية مرتعدين من ذلك ومما سيحدث. وعندئذ اخذ الاب الولدين الهاربين الى مكتبه وبدأ يتحدث اليهما طويلاً.

-هل تستطيع القيام بأعمال مماثلة. واذا علم مدير المدرسة بذلك فانكما سوف تطرد ان الا تحزن من ذلك ياسيد جيجفرن ؟ انه لامر سيء جداً ان تعطي صديقك مثل تلك النصائح السيئة واتمنى ان تعاقب نتيجة ذلك واين قضيتما الليلة؟

-في المحطة، اجاب بكل زهو.

اما فولوديا فقد قرر الذهاب الى المنام مباشرة حيث حضرت له والدته كمادات لوضعها على جبينه. وقد ارسلنا ببرقية الى الشرطة، وفي اليوم التالي وصلت سيدة وهي والدة جيجفرن اخذت ابنها وعادت بسرعة.

وفي لحظة ذهابه لم يتبادل الحديث مع أي شخص، كان متعالياً ومتعجرفاً فقد قدمت كاتي له دفتر مذكرات لكي يوقع عليه فكتب للذكرى: مونتيكومو –كريف –دي فوكور.



ZAHRAN
زهران
للنشر
PUBLISHERS
المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي وا
دار زهران للنشر والتوز
تلفاكس : 0096265331289 ص.ب. : 1170 عمان -الرمز البريدي : 941
: zahran.publishers@gmail.com www.darzahran.net

978-9957-504-30-4